الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات نقدية . **التخصص:** نقد حديث ومعاصر .

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الموسومة بـ :

الألفاظ والمعاني عند علماء الإعجاز

إعداد الطالبتين :

- سلاح فاطمة الزهراء .
- زيان شاوش نسرين .

إشراف الأستاذ:

أ. داوود أمحمد .

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
سبع بلمرسلي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
داوود أمحمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
عدة قادة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :

1442–1443هـ / 2021–2022م

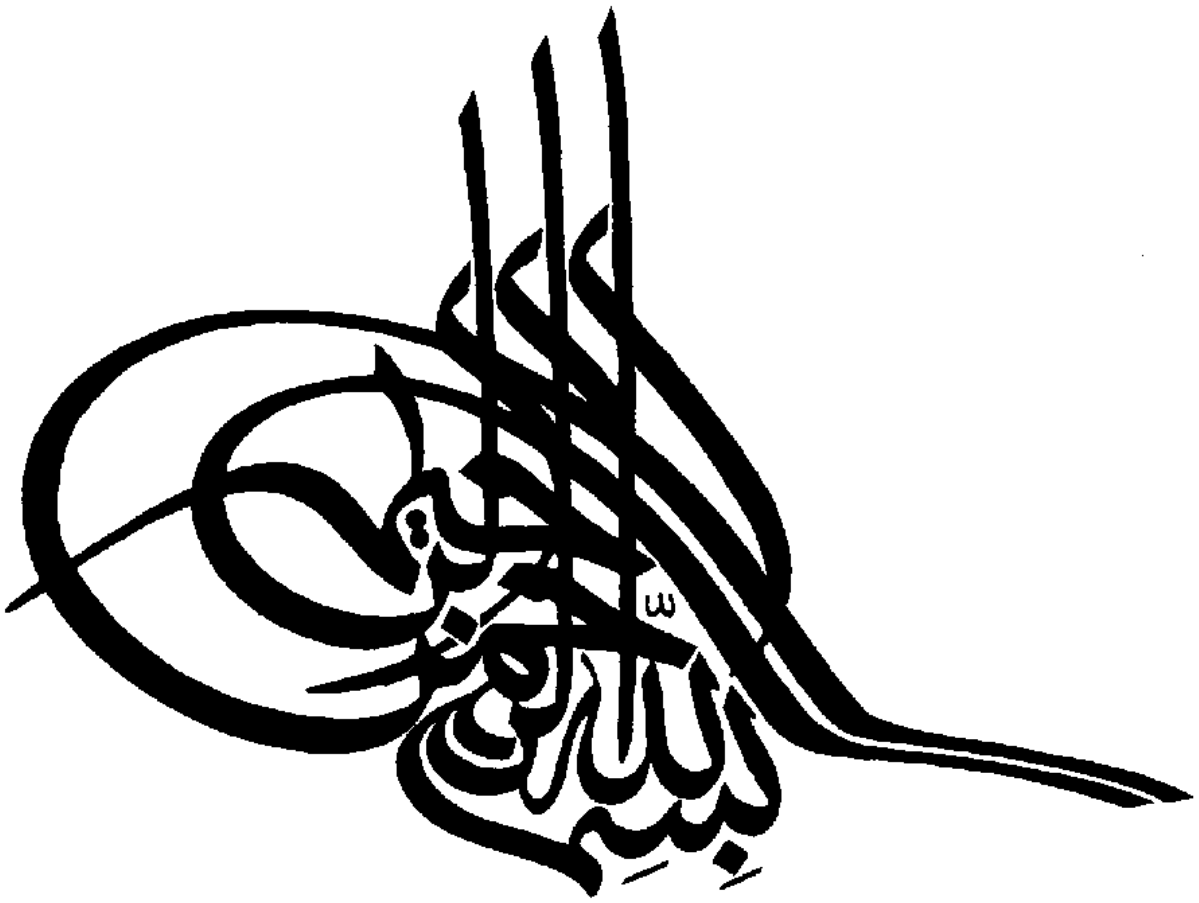
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بداية الشكر لله عز وجل المنعم الباري الذي وفقنا بفضله لسير في خطنا من اجل القيام بهذا العمل البسيط ، راجين من المولى عز وجل دوام نعمة العلم والتعلم .

جزيل الشكر والامتنان بأسمى العبارات وفائق التقدير والاحترام لأستاذنا الفاضل "الدكتور " داود أمحمد ، الذي رعنا بتصويباته السديدة ونصائحه القيمة ، والذي لم يبخل علينا من العلم بشيء

دمت فخرا لكلية الأدب واللغات استأذنا الفاضل .

كما نتقدم بالشكر الى كل من علمنا ولو حرفنا من الكلمة جزآكم الله خيرا .

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

اهدي عملي هذا إلى قرة عيني وجنتي "أمي " أطال الله عمرك

إلى أبي العزيز الذي ساندي ولم يبخل عليا بشيء ، حفظه الله

إلى ملجأي ومأمني في هذه الحياة إلى من أرى التفاؤل بعينيه " أخي يونس "

إلى إخوتي " طيب ، محمد ، حمزة ، أيوب "

إلى صديقاتي " فاطمة الزهراء و كريمة .

إلى كل عائلتي من قريبا وبعيد

نسرين

إهداء

بسم الله والصلاة والسلام على إمام المتقين وبعد

اهدي ثمرة جهدي وعملي هذا إلى من لا تفيها الكلمات حقها ،إلى بلسم الجروح ،إلى من رافقتني ببركاتها وحفظتني بدعواتها أطال الله عمرك يا شمعة دربي "أمي الحبيبة ".

إلى "أبي الغالي وركيزتي ، إلى أمي الثانية ونور عيني أختي الكبرى " مليكة "

إلى ضلعي الثابت وجزئي الذي أتكئ عليه أخي الغالي

عبد القادر وصغيري الياس

إلى كل أعمامي وعماتي إلى جدي الحبيب شفاك الله ، إلى جدتي الحنون

إلى زهرات البيت " دعاء ونور الهدي " والكتاكيت سجود وعيسى

إلى من ساندني وكان كفيلا بمرافقتي " علي " كل نجاح وأنت معي

إلى صديقاتي " مليكة , وسام ، نسرين , كريمة ، سلمى .

إلى كل من ساندي ولو بدعاء .

فاطمة الزهراء

مقدمة

مقدمة :

تعتبر اللغة العربية أعظم لغات العالم ،لغة الضاد التي أنزل به الكتاب الله ومعجزة سيدنا مُحَمَّد ﷺ مما زادها شارفا .

عرفت اللغة العربية عدة مراحل عبر القرون ،ولعل أعظم مرحلة مرت به هي نزول القرآن الكريم الذي أزال الستار عن كل الشوائب والنقائص والتداعيات التي عانت منها هذه اللغة الشريفة فزادت اهتماما وجمالا على غرار اللغات العالمية الأخرى كونها هي لغة القرآن الكريم ، وذلك لجميله ألفاظه ومحكم قواعده وأسسه المتينة ، وقفت الأمم وقفت الانبهار أمام هذا النص السماوي المقدس ،وزادوا بهتان بعد محاولة التنقيب عن أسرار الجمال في هذا النص الذي لا يضاهيه أي نص بشري كان .

لا مس القرآن الكريم الحياة البشرية بصفة عامة والحياة الأدبية بصفة خاصة , فكان محل بحث ودراسات وخاصة وسط الساحة النقدية ، وظهر ما يعرف بعلوم القرآن الكريم بغية الكشف عما يحمله هذا الكتاب العظيم بين طياته ، والوصول إلى مواطن سر هذا الإعجاز .

تبنى الكثير من العلماء والباحثين قضية الإعجاز القرآني أمثال الجاحظ ،الجرجاني وغيرهم ممن اجتهدوا في خدمة القرآن الكريم ،واختلفت الآراء وتعددت حول سر هذا النص الذي أذهل العرب والعجم .

أثر القرآن الكريم في الحياة الأدبية بصفة بالغة فترك بصمة بارزة في علوم البلاغة والبيان والبديع وعلم اللغة والنحو ، وظهر ما يعرف بقضية اللفظ والمعنى عند علماء الإعجاز ، تفرقت الآراء واختلفت وظهرت فرق كلامية ومذاهب بوجهات نظر متباينة ،فهناك من يرى إن القرآن الكريم معجز بألفاظه المفردة ، في حين أن النظير الأخر يرى أن سر هذا الإعجاز يكمن في جوهر العلاقة بين اللفظ والمعنى الذي ينبت في قالب النظم الذي يعتمد على حسن التأليف والتنسيق ، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال التالي :

- ما هو مفهوم الإعجاز القرآني ؟ وفيما يكمن سر هذا الإعجاز ؟

ما هي الاختلافات التي جاء بها علماء الصحوة في قضية الألفاظ والمعاني ؟ وما دورها في الإعجاز القرآني ؟

إن التساؤلات والفرضيات المطروحة هي من أهم الأسباب والدوافع التي دفعتنا للقيام بالاطلاع على هذا الموضوع والقيام بهذا العمل البسيط والمتواضع ، والتنقيب عن كشف مواطن هذا الإعجاز وخاصة من جانب الألفاظ والمعاني والبلاغة والبديع ،والكشف عن أهم المزايا التي خلفها علماء الإعجاز من أشاعرة ومعتزلة .

معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي والوصفي ،لأنهما بمثابة المنهجان الأساسيان المرتبطان بهذا الموضوع لتسهيل عملية البحث والاطلاع على هذا الأخير المعنون ب قضية الألفاظ والمعاني عند علماء الإعجاز .

مطلعين ف بحثنا هذا على مجموعة من الدارسات السابقة والتي عنت واهتمت بهذا الموضوع ومن أهمها البيان والتبيين للجاحظ ,المغني في أبواب التوحيد والعدل للباقلاني , دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وغيرهم من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع القيم .

أما بالنسبة لخطة بحثنا فقد جاءت على النحو التالي :

مقدمة ، مدخل ، فصلين ، خاتمة

أما المدخل :تناولناه بعنوان الإعجاز القرآني وأثره في النقد

- ❖ الفصل الأول :بعنوان قضية اللفظ والمعنى عند المعتزلة مقسم إلى ثلاثة مباحث
  - المبحث الأول : قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ .
  - المبحث الثاني : قضية اللفظ والمعنى عند الرماني .
  - المبحث الثالث : قصية اللفظ والمعنى عند القاضي عبد الجبار .
- ❖ الفصل الثاني : بعنوان قضية اللفظ والمعني عند الشاعرة مقسم إلى ثلاثة مباحث
  - المبحث الأول : قضية اللفظ والمعنى عند الباقلاني .
  - المبحث الثاني :قضية اللفظ والمعنى عند الخطابي .
  - المبحث الثالث : قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني .
- ❖ خاتمة ذكرنا فيها حوصلة حول بعض النقاط التي توصلنا لها .

وكأي بحث علمي واجهتنا مجموعة من الصعوبات والتي تمثلت في كثرة المادة العلمية مما جعلنا في حيرة حول التنسيق بين عناصر هذا الموضوع ،واتساع الآراء والدارسات وكثرة الجدال فيه ,وربما من بين أهم الصعوبات التي واجهتنا عدم توفر الكتب الورقية في مكتبة الكلية رغم أنها مهمة بالنسبة للطلبة .

وفي الأخير نأمل من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في الإثراء ولو بالقليل من المعلومات حول هذا الموضوع ، شاكرين الله عز وجل علم نعمة الإسلام ونعمة العلم .

كما لا ننسى شكر أستاذنا الفاضل على مجهداته القيمة التي لولاها مكان لي ننجز هذا العمل المتواضع راجين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

جامعة ابن خلدون – تيارت –

الطالبتان :

- سلاح فاطمة الزهراء .
- زيان شاوش نسرين .

تيارت في : 21 جـــوان 2022 الموافق لـ : 22 ذو القعدة 1443.

مدخل

الإعجاز القرآني وأثره على النقد العربي

لم يظهر في الوجود كتاب مبهر بجمال معانيه معجز بألفاظه تخطى كل العلوم بأسرار جماله بلغ ذروة لم يبلغها أي كتاب من قبل، كتاب الله ومعجزة النبي ﷺ أثلجت القلوب وأنارت العقول بآياتها، تسارع العلماء والفلاسفة لفك سر هذا الإعجاز، فكانت انطلاقا لتطور العديد من العلوم.

أولا: مفهوم الإعجاز

أ) الإعجاز في اللغة:

جاء في لسان العرب: "العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيمهما، ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا... والعجز: الضعف، نقول عجزت عن كذا عجزا.

وفي حديث عمر: "ولا تلثوا بدار معجزة، أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها اكتساب التعيش".

والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز: عدم القدرة... وأعجزه الشيء: عجز عنه، والتعجيز: التثبيط وكذلك إذا نسبة إلى العجز، وعجز الرجل عجزا، ويقال أعجزت فلانا إذا ألفته عاجزا[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز أي ضعيف[2].

وجاء في صحاح العربية للإمام الجوهري: العجز: الضعف.

تقول عجزت من كذا أعجز بالكسر عجزا ومعجزة عجزا بالفتحة... والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء"[3].

أما في قاموس المحيط للفيروز أبادي فقد جاءت على النحو التالي:

"... والمعجزة تفتح جميعها: والعجزان محركة، والعجوز بالضم، الضعف والفعل كضرب وسمع، فهو عاجز من عواجز وعجزت كنصر وكرم عجوز بالضم... ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الضم عن التحدي"[4].

ب) الإعجاز اصطلاحا:

تعدد مفاهيم الإعجاز واختلف العلماء في ضبط المصطلح ومعناه.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ مج 604، 31/ ص 2817.

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د م ن)، 1979، ج4، ص 332.

[3] الجوهري تاج الله، صحاح العرب، دار الحضارة العربية، بيروت، ج ح، ص 3.

[4] قاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب الزاي، فصل الصين، ط2، ص 478.

المعجزة تلك القدرة التي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه لتكون دليلا على صدقهم وبرهانا على دعواهم، فبينها كان تأكيد الله لرسله السابقين بآيات كونية تجهر الأبصار ولا سبيل للعقل من معارضتها كمعجزة اليد والعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى عليه السلام كانت معجزة مُحَمَّد ﷺ في عصر مشرف على العالم، معجزة عقلية خالدة تتحدى العقل البشري إلى الأبد، وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه وأخباره[1].

أما عن سعد الدين التفتازاني فقال: "المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة"[2].

بعد بزوغ فجر الإسلام الذي نشر نوره على مجمل الحياة البشرية ليخرج الإنسان من وراء الجهل والبلاهة التي كان يعيشها وتحديدا بعد نزول معجزة سيد الخلق، سيدنا مُحَمَّد ﷺ، معجزة عظمى أبهرت الأبصار بآياتها وأعجزت العقول عن معارضتها، وهي القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين بين الأرض والسماء، تحدى الله به عباده بأن يأتوا بمثله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[3] الإسراء، الآية 88.

نزل باللغة العظمى لغة الضاد التي استندت عليها قواعد العرب وتجلياتهم كمحكم لا خلل فيه ولا زلل كقوة شعورية تربعت على قمة الأدب بأصوله، ولعل ما تتكئ عليه عربيتنا قلبا وقالبا هي حروف القرآن الكريم التي تحيك النياط بين تجاويف معانيها المتسلسلة، وهذا ما يسمى بالإعجاز في القرآن الكريم الذي هو معجز بألفاظه ومعانيه، فلو بحثنا في كنف الآيات الموجودة بين دفتي كتاب الله نجدها تحاكي وتكسر عجز العلم والعلماء على إيقاظ هذا التطور الهائل الذي تبناه القرآن الكريم.

بعد احتضان هذا النص العظيم الحياة البشرية والخوض في جميع جوانبها لامس أهم الجوانب الفكرية لدى الإنسان، والتي عرفت نموا هائلا مع مواكبة الدراسات القرآنية.

من الحقائق المسلم بها أن العرب أشد الأقوام ضرابة وأكثرهم فصاحة وولعا بالشعر والأدب اقتنوا الشعر كوسيلة يحاكون فيها بطولاتهم وأمجادهم ويتغنون بمفاخرهم ويبكون إطلالهم، فكان الشاعر

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الصبح، لبنان، ط1، ص 132.

[2] سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ج3، ص 273.

[3] سورة الإسراء، الآية 88.

في العصر الجاهلي ذو مكانة لا تضاهيها أخرى، هو لسان قبيلته، إذا مدح أثنى وإذا هجى ذم وخزى.

أخذ الشعر مكانة مرموقة من الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، وكان أكبر منزلة من الخطابة فشاعت المقابلات الشعرية في الأسواق الأدبية الكبرى كسوق "عكاظ" "ذي الحجاز"، بحيث يجتمع الشعراء ويلقي كل شاعر ما حاكاه في أبيات شعرية ويستمع له حشد من الناس ويتلقى مجموعة من التقييمات والملاحظات تدور جلها حول اللفظ والمعنى والوزن، مهملة من الجانب الفني والقالب الموضوعي للعمل الأدبي لأن العرب في العصر الجاهلي عرفت بصرامتها اللغوية، تحكم على الشعر من جانب تأثيره في النفس وتوظيف المعاني المناسبة للمقصد الدالة عليه ومراعاة محل الألفاظ، فكان الشاعر مطية للهجاء إذا ما وظف اللفظ في غيره محله أو لم تكن كلمات القصيدة ذات تأثير بالغ حسي على نفس المتلقي.

هذا ما كان يعتبر بالنقد في العصر الجاهلي، مجموعة من الأحكام الانطباعية الغير المعللة الخالية من التفسير أو التوضيح لأسباب صدورها، انتقادات ذاتية تغلب عليها العاطفة والأحاسيس تحتضن جانبا من الشعر وتترك أخر هذا ما جعل من النقد القديم نقدا ركيكا يفتقد قيمة النقد المنشودة.

لو بحثنا في ثنايا تاريخ نشأة النقد العربي القديم نجده مجرد زاوية مقفرة ترتكز على مزايا انطباعية وذاتية موجزة تصب في قالب تحكمه العاطفة ويقوده التمييز الفردي، مما جعل من النقد القديم نقدا لا يولد على أحكام كلية تتجرد من الجزائية التي جل اهتمامها يدور حول ما يلفت الانتباه في القصيدة من جانب لغوي، لفظي ومعنوي، يعنى على الشعر فيدرس جانبا ويترك أخر، وسار مسار النقد على هذا النحو الذي اعتاد عليه الشعراء والنقاد الذين نذكر من بينهم "النابغة الذبياني"، إلى حين ظهور كتاب الله وانبهار العلماء بروعته والذهول لكلماته وتراكيبه عجز الدارسون على محاكاة ما يحمله هذا النص المتين، فكانت هذا أول دافع لفتح الطريق أمام النقاد والباحثين للخوض في فك سر هذا الإعجاز.

تبنى النقاد والباحثون نظرية الدراسات القرآنية واجتهدوا في بحثهم من أجل الاطلاع على أسرار إعجاز هذا الكتاب الأعظم، وبعد ظهور هذه الدراسات ظهر ما عرف بحركة التأليف النقدية مع أمثال "الجاحظ" وكتابه البيان والتبيين، وابن قتيبة وابن سلام الجمحي وغيرهم من العلماء والنقاد الذين ساهموا في انتعاش النقد العربي ودفعه نحو التغيير، فخلفوا أثر هذه الدراسات مجموعته من

الكتب والتأليفات القيمة التي تعد مفخرة للمكتبة العربية الكبيرة، ولدت بعد الأبحاث التي قام بها الدارسون الباحثون ، لكن لم تكن الدراسات القرآنية بالأمر السهل).

أن حقيقة دراسة هذا النص العظيم ليست بالأمر الهين، ووقفوا عاجزين أمام سر بلاغته وبديعه وبيانه وفصاحة ألفاظه، فلجأوا إلى دراسة وجوه البيان والبحث في إبداع التراكيب وشمولية الألفاظ وموضوعيتها، والخوض في فن الخطابة والفصاحة في المعنى وانسجامه.

رغم التشكيك في قيمة هذه الرسالة العقائدية وفي ذات القرآن وتجلياته، إلا أن التعمق في جميع سطور معانيه والغوص في أحكامه جعل من هذا النص يفرض قيمته الأدبية والتشريعية التي أعجزت الكون عن مضاهاتها، ولو بآية من آيات هذا الكتاب العظيم، وهذا ما كشفته الأبحاث والدراسات التي اعترفت أن تزامن الدراسات القرآنية وحركة التأليف النقدية تجمعها صلة وثيقة بتطور الفكر العربي الذي ومنذ نزول القرآن الكريم سلك طريق النمو ونسج ركائز التقدم والتغيير، وهذا ما قاله الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه تاريخ النقد عند العرب بقوله: "لقد ظهر الإسلام والبلاغة في ذروتها، لكن لم يكد العرب يستمعون إلى القرآن الكريم حتى اعتراهم الانبهار أمام بلاغته التي تتحدى العقول والإفهام، ومن ثم لم يكن عجبا أن تعجز قريش عن معارضته وأن يسجد لبلاغته لا للإيمان به من سجد منهم له[1].

[1] تاريخ النقد الأدبي عن العرب، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص. ب 79، ص 47.

الفصل الأول

الألفاظ والمعاني عند المعتزلة

تمهيد:

عرفت الساحة نقدية عدة قضيا أثارت الجدل بين الباحثين والعلماء الذي كان جل اهتمامه الاطلاع على المناقشات، التي تثري في تطور النقد الأدبي، ومما لا شك فيه أن قضية اللفظ والمعنى هي من بين أهم القضايا التي ساهمت في التطور النقد الأدبي القديم، حيث بلورت الفكر النقدي من فكر ضيق إلى فكر أوسع، سواء في علم البلاغة أم البيان... (وغيرها) من العلوم، حيث ظهرت الجدلية مع الفرق الكلامية حول ثنائية اللفظ والمعنى، وذلك بعد الدراسات التي قدموها خدمة للقرآن الكريم.

ومن بين أهم المذاهب التي اعتنت بدراسة هذا الموضوع القيم هي فرقة المعتزلة والأشاعرة، بحيث تنسب هذه الأخيرة إلى الأشاعرة، حيث تعد "أكبر فرقة إسلامية نافحت عن الإسلام ودافعت عن مبادئه وعقائده ضد غير المسلمين من اليهود والنصارى"[1].

ومن بين العلماء الأشاعرة ومشاهيرهم الذين ألقينا نظرة على دراستهم (الباقلاني، الجرجاني، الخطابي).

وعليه نجد في النظير الآخر فرقة المعتزلة، حيث يعرفها عواد بن عبد الله، هو " اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية"[2]، ومنه فإن الجدير بالذكر لبعض أعمال من هم في صنف أوائل هذه الفرقة (المعتزلة)، والذي نذكر منهم (الجاحظ، الرماني، قاضي عبد الجبار).

ومنه "فإن المعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[3].

---

[1] الشيخ مُحَمَّد صالح بن أحمد الغرسي، منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق، ص 19.

[2] عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1416-1995، ص ص 13-14.

[3] المرجع نفسه ، ص 51.

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني عند الجاحظ

يعتبر الجاحظ من الأوائل الذين فتحوا باب النقاش حول قضية اللفظ والمعنى في الإعجاز للقرآني، وذلك من خلال ما قدمه في كتبه (البيان والتبيين، الحيوان...).

جاء الجاحظ في دراساته مفضلا بين الألفاظ والمعاني، فقد أعطى المزية للألفاظ وأهمل المعنى، قدم الجاحظ عمل جبار خدم به هذه الثنائية التي تعد نقطة تحول في النقد العربي.

التعريف بشخصية الجاحظ:

ولد الجاحظ في البصرة سنة 150هـ، بينما يجعل بعض المؤرخين ولادة الجاحظ سنة 155هـ، وهو أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناني الليثي، وقد أطلق عليه لقب الجاحظ بسبب نتوء حد قيته، مما جعله دميما، مات أبوه منذ حداثته، فكفلته أمه وقامت على تربيته، قضى شطرا من حياته يقاسي من شظف العيش وشدة الحياة، ويظهر أن الجاحظ جنى الخير الوفير لملازمته مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات، وكان الجاحظ رجل يغلي في عروقه الدم العربي الذكي، وتفور في نفسه النعرة العربية الصحيحة، ومهما كان عمره من حيث القصر والطول، إلا أن السنوات التي عاشها الجاحظ كانت سنوات كفاح وجهاد، وتوجه الجاحظ بهذا النتاج الضخم من مؤلفاته كتبا كانت أمر رسائل منها البيان والتبين، الحيوان، وهكذا كانت هذه الكتب التي عشقها طول حياته، وجعل منها أنيسا أيام عمره يتغنى بها، ويفرح لاقتنائها، وأفنى من أجلها عمره كانت سببا في مصرعه، فمات شهيدا كفاحه وفداء ما عشقه، مات عام (255هـ) بإجماع الرواة[1].

موقف الجاحظ من قضية اللفظ والمعنى:

بعد الاهتمام الكبير الذي خصصه " الجاحظ" لقضية اللفظ والمعنى ودورهما في الإعجاز القرآني جاء مدعما رأيه بحجج متبينة وبراهين، وصنفها في كتابه البيان والتبيين الذي تناول فيه هذه الثنائية كاشفا مكانة كل منهما ودورهما في الإعجاز القرآني، حيث يقول:

[1] ابن منظور، تهذيب حيوان للجاحظ، دار الجيل، بيروت، ص ص 15-21.

"المعاني مطروحة في الطريق يعرفهما العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[1].

وبالتالي فالجاحظ يرجع المزية للألفاظ دون المعاني بإرجاء الفضيلة للفظ والتقليل من شأن المعاني التي لم يبالي بها، ولقد اعتبر الألفاظ هي مجهدا للمعاني التي تكتشفها لنا، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الجاحظ متعصب للفظ دون المعنى، وعرف اللفظ بقوله: "الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[2].

ويقصد الجاحظ بهذا التعريف أن اللفظ لا يتضح إلا في الصوت، بحيث إذا وجدت حركات اللسان والشفتين غير مرفوقة بصوت، فلا يقال عنها لفظا، وإنما تعد مجرد حركات تكون ضمن الإشارة، ومنه يكون الصوت هو المفسر الحقيقي لتلك الحروف، وفق نظام التقطيع والتأليف.

وقد جاء الجاحظ مؤيدا للفظ مفضل إياه وأكد أنه يكتسي من الفصاحة والجزالة مؤكدا ما قدمه لنا مفقودة في المعنى، حيث قال: "ثم أعلم –حفظك الله أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة"[3].

ومنه نلاحظ أن الجاحظ يرى حكم الألفاظ خلاف لحكم المعاني، وإن الألفاظ تعتبر عنده محدودة عكس المعاني التي لا حدود لها، وإن الألفاظ عنده مشكلة من الأصوات، والصوت محدود ومعدود عكس المعاني التي لا حدود لها، وتتولد باستمرار.

ومن هنا فإن الجاحظ تحدث كثيرا في مقولاته عن اللفظ وكشف لنا مدى اهتمامه به في النصوص السابقة، وهذا برهان قاطع على أن الجاحظ اهتم باللفظ، وأعلى من منزلته، ولكن الجاحظ لم يقصر من المعاني ولم يهملها إهمالا كليا، إذ أوضح في المقولة الآتية حيث يقول: "إلا أني أزعم أن

[1] الجاحظ، كتاب الحيوان، الجزء 3، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (1485-1965)، ص 131.

[2] الجاحظ، كتاب البيان والتبين، ج1، ط7، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، (1418-1998)، ص 79.

[3] المصدر نفسه ، ص 76.

سخيف الألفاظ مشاكل السخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني"[1].

ومنه يقصد الجاحظ كلما كانت الألفاظ مستحسن (جميلة)، فهذا يعود للمعنى الجميل، لكن في بعض الأحيان تجد ألفاظ مكروهة بشعة، وذلك يعود لبشاعة المعنى، ومنه إن الألفاظ تتوافق مع معانيها ولا تكمن المزية في أحدهما دون الأخرى.

ازداد الأمر اتضاحا وانكشافا، حيث قال بشر من المعتمر "من أراغ معنى كريما، فليلتمس له لفظا كريما: فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"[2].

يقصد بشر من قوله أنه لابد للمعنى الشريف من اللفظ الشريف، ويظهر لنا العلاقة بينهما ليس اللفظ وحده، ولا في المعنى وحده، ولكن في العلاقة والموافقة بينهما.

النظم عند الجاحظ:

لقد ذهب الجاحظ إلى أن البلاغة تتمثل في نظم الألفاظ، حيث اهتم الجاحظ بالنظم وأدلى برأيه قائلا: "وفي كتابنا الذي يدلنا على صدق نظمه البديع الذي لا يقدر مثله العباد"[3].ويقصد الجاحظ من مقولته بأن القرآن الكريم معجزة بنظمه، وهو مخالف لنظم الكلام.

ولهذا فقد كانت قضي النظم عند الجاحظ من أهم المسائل التي درسها مؤلفا كتابا، وأطلق عليه اسم "نظم لقرآن"، ولكنه فقد ولم يعثر عليه أحد حتى الآن، وهنا فإن الجاحظ لم يلمح إلى مصطلح النظم، بل أشار إلى المقولة الآتية:

"أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم، وبذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[4].

إن الجاحظ قد استعمل (التلاحم، الإفراغ، السبك) إلى جانب النظم، بحيث هذه الأوصاف ترتبط بالجانب اللفظي، وهذا ما ذهب إليه عبد المعطي عرفة، حيث قال: "يظهر لنا مما تقدم أنه كان

---

[1] الجاحظ، كتاب البيان والتبين، ج1، ط7، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، ص 145.

[2] نفس المصدر، ص 136.

[3] الجاحظ، كتاب البيان والتبين، ج4، ط2، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1385-1966، ص 90.

[4] المصدر نفسه ،ص 67.

يطلق النظم عن نظم الحروف وتلاءم مزاجها وانسجام أجراسها حتى تكون في خفتها ورشاقتها كالحرف الواحد، وحتى تكون الألفاظ في تحدرها وسهولتها ولينها، كأنها لفظ واحد"[1].

وفي هذا يبرز لنا اهتمامه بالنظم، وهذا ما ذهب إليه مُحَمَّد زغلول من أن فكرة الجاحظ عن اللفظ مفادها أن الإعجاز القرآني متعلق بالألفاظ منطلقا من فهمه لرأي الجاحظ الذي يرى أن "الإعجاز متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من معاني، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سور في التأليف حتى ولو حوى التأليف الرائع كل باطل ومفترى معنى له فما بال القرآن، وقد جمع إلى النظام الرائع المعاني الفائقة"[2].

ومنه فقد فرق بين نظم القرآن ونظم الكلام، وفي هذا قال عبد العزيز المعطي عرفة: "وفرق الجاحظ بين نظم القرآن ونظم سائر الكلام، ودعا إلى دراسة الأدب العربي بعامة وفنونه وضروبه وأغراضه لكي يعرف الدارس الفرق بين النظميين نظم القرآن ونظم سائر الكلام"[3].

يرى عبد العزيز عبد المعطي عرفة بأن الجاحظ يفرق بين نظم القرآن ونظم سائر الكلام من خلال مذهبه الأدبي الذي يهتم بصياغة الألفاظ، حيث طلب بدراسة الأدب العربي بعامة لكي يفهم الدارس ويفرق بين النظمين.

ومن يبقى رأي الجاحظ مبهما وغير واضح إثر ضياع مؤلفه "نظم القرآن".

ومنه لقد تناول الجاحظ بابا من أبواب مؤلفه البيان والتبين، فذكر القضايا التي تتعلق به، ومن أبرز هذه المواضيع التي درسها موضوع البيان، حيث عرفه الجاحظ "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام، فأبى شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[4].

---

[1] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ط1، المزرعة بناية الإيمان، بيروت، (1405-1985)، ص 176.

[2] الدكتور مُحَمَّد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر، القرن الرابع الهجري، ط1، مكتبة الشباب، بكائي اسماعيل منيرة، ص 77.

[3] المصدر السابق، ص 12.

[4] الجاحظ، كتاب البيان والتبين، ج1، ط7، مكتبة الخناجي للطباعة والنشر، القاهرة، (1418-1998)، ص 76.

وبالتالي يقصد الجاحظ من خلال تعريفه بالبيان هو الإفصاح والإظهار والكشف والفهم والإفهام عن المعنى الغامض الخفي، والذي يؤدي بدوره إلى وضوح الدلالات يقول الجاحظ:

"وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مطرحا" [1].

وعليه حسب رأي الجاحظ في هذه المقولة فإن الدلالات المذكورة هي اللفظ، الإشارة، العقد، النصبة أو الحال.

إن هذه الدلالات حسب رأيه تختلف عن بعضها البعض، ولكن جميعا ذات غاية واحدة وهي الكشف عن المعاني، ثم الحقائق التي تتطلب التفسير والكشف عن المعاني في الجملة بإظهار مواطن الحسن فيها.

وفي الأخير نقول إن الجاحظ قد عبر بفكره عن قضية اللفظ والمعنى، وهو أول من مهد لهذه الثنائية، حيث قام بدراسة هذا الموضوع، واستدل بموقفه في قضية اللفظ والمعنى، وكأنه كان متناقضا في البداية، حيث قدم اللفظ عن المعنى، إلا أنه مهما بدا متناقضا لا يقوم أبدا على ميله وانحيازه للطرف الآخر، وهذا لا يعني نصرته للفظ على المعنى ولا معنى على اللفظ، وينظر إليهما متحدين ومنسجمين مع بعض كقطعة نقدية، وقد عرضنا ذلك بحجج ودلائل.

وعليه فإن الجاحظ دمج لمسته بإشارته للنظم والبيان في موقفه ورأيه عن قضية اللفظ والمعنى.

المبحث الثاني: الألفاظ والمعاني عند الرماني

[1] المصدر نفسه ، ص07 .

وممن تناولوا قضية اللفظ والمعنى، وكانت لهم دراسات قيمة خدمت هذا الموضوع ودفعت به في الإعجاز القرآني إلى سبل التطور، بإضفاء نظرة جديدة نجد الرماني مخصصا، في ذلك كتابا عالج فيه بدراسته هذه الثنائية (اللفظ والمعنى).

التعريف بشخصية الرماني:

هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، الذي ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامرا أو ببغداد، ونشأ نشأة فقيرة، واشتغل بطلب العلم واستعان على كسب قوته بالوراقة، وأخذ اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل أبي بكر بن دريد وأبي بكر السّراج " والزجاج، وتخرج في الكلام على يد أستاذه المعتزلي ابن الإخشيد.

ويذكر أصحاب التراجم أن الرماني كان محبا للعلم واسع للاطلاع، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو، لذلك لقب بالنحوي المتكلم شيخ العربية وصاحب التصانيف، وكان إلى جانب ذلك ميالا لعلوم المنطق والفلسفة والنجوم، وبرع في علوم القرآن والتفسير وألف فيها، وكانت له مشاركة في الحياة العامة في بغداد، وفي أحداثها السياسية الهامة، وكان محبوبا مقدارا عند العامة والخاصة، ومن كتبه التي نذكرها: الجامع في علوم القرآن، النكت في إعجاز القرآن...)، وتوفي سنة 386ﻫ بعد حياة طويلة حافلة"[1].

موقف الرماني من الألفاظ والمعاني:

لقد عبر الرماني بفكره النير وثقافته الواسعة عن قضية اللفظ والمعنى، بحيث أعطى عناية كبيرة لهذه الثنائية، ولهذا فقط ربط الرماني هذه القضية (اللفظ والمعنى) بالإعجاز القرآني، حيث قال علي عشري زايد: "كما هو الشأن في كتاب "النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن الرماني الذي يعد واحدا من الكتب الرائدة حول قضية الإعجاز القرآني، وهو في الوقت ذاته واحد من المصادر

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص ص 10-11.

الأساسية الأولى في البلاغة العربية، فالجانب البلاغي في هذا الكتاب طاغ على الجانب الكلامي، بحيث لا يحتل هذا الأخير سوى أربع من صفحات الكتاب"[1].

وبالتالي فقد خصص للرماني جزءا من كتابه للتحدث عن البلاغة، والتي عرفها بقوله:

"وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[2].

ومنه يوضح لنا الرماني من خلال تعريفه للبلاغة نجد أن لها أثر في توصيل المعنى لقلب السامع عن طريق توضيح الصورة الجميلة من اللفظ.

وعليه قد قسم الرماني البلاغة إلى ثلاث طبقات.

"منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائل بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان منها دون ذلك، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"[3].

ومن خلال هذا القول نجد الرماني قد خصص الطبقة العليا من البلاغة للقرآن الكريم، بينما خصص الطبقة الوسطى للبلغاء، أما بالنسبة للطبقة الأخيرة فقد احتوت كلام الناس.

وقد قسم الرماني البلاغة إلى عشر أقسام، "والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"[4].

وبالتالي فإنه عرف الأقسام البلاغة على النحو التالي:

1-الإيجاز:

بدأ الرماني حديثه عن الإيجاز بتعريفه "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز"[1].

---

[1] الدكتور علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها –مصادرها-منهجها، مكتبة شباب، شارع اسماعيل سرى، المنيرة، 1982، ص 50.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3 ،ص75 – 76 .

[3] المصدر نفسه ، ص 75.

[4] المصدر نفسه ، ص 76.

ومنه يوضح الرماني بأن الإيجاز هو عدم الإخلال بالمعنى، حيث أنه يمكن أن نعبر عنه بألفاظ قليلة أو كثيرة، فإن لإيجاز هو بيان المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ مقسما إياه إلى قسمين:

-الإيجاز بالحذف

-الإيجاز بالقصر.

الإيجاز بالحذف:

"فالحذف إسقاط كلمة الاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام مثل قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ [2]، ومنه كأنه قيل (وأسأل أهل القرية)، ومنه فقد حذف الجواب كقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا [3]، كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم، الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير"[4].

الإيجاز بالقصر:

"هو بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف كقوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [5]، ففي هذه الآية الكريمة ألفاظا قليلة، لكننها تحمل معاني كثيرة تدل على التعبير القرآني، وهي تمثل الحكمة(القتل أنفى للقتل)[6].

التشبيه:

بعد أن انتهى الرماني من الحديث عن الإيجاز تطرق إلى دراسة باب آخر من أبواب البلاغة وهو التشبيه.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 76.

[2] سورة يوسف، الاية 82.

[3] سورة الزمر، الآية 70.

[4] المصدر السابق ، ص ص 76-77.

[5] سورة البقرة، الآية 178.

[6] المصدر السابق، ص 76.

حيث عرفه قائلا: "التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، ولا يخلوا التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس"[1].

يقصد الرماني في هذا التعريف أن هناك علاقة اتحاد وترابط بين المشبه والمشبه به سواء في الحس أو العقل، وهذا ما وضحه في المثال: "زيد شديد كالأسد حرف الكاف عقدت المشبه بالمشبه به"[2].

وبالتالي قسم الرماني التشبيه إلى حسي وعقلي من خلال مقولته السابقة، ودراسته الحسية عنده "أما التشبيه الحسي فكماءين وذهبين، ويقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه، وأما التشبيه النفسي فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد، ولكنها تعلم سادة مسد أخرى"[3].

والتشبيه عند الرماني نوعان، حيث قال:

"تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر وثاني تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما مثل كتشبيه الشدة بالموت، والبيان بالسحر الحلال"[4].

ولهذا كانت دراسة الرماني لأسلوب التشبيه توضيح لطبيعته وإبراز أثره في المعنى، ثم استشهد بشواهد قرآنية، مما جعله يخطو خطوة واسعة على طريقة البحث البلاغي.

الاستعارة:

يوضح لنا الرماني معنى الاستعارة ويتأمل قدرتها في التأثير على من يتلقى النص القرآني، حيث يعرف الاستعارة قائلا: "الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة نقل الإبانة"[5].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 80.

[2] نفس المصدر، ص 80.

[3] نفس المصدر، ص 81.

[4] لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 81.

[5] المصدر نفسه ، 85 .

ومن خلال التعريف نلاحظ أن الرماني وضع كلمة الاستعارة مقابل معنى جديد أطلقت عليه، وهو مختلف عن المعنى الموضوع لها في اللغة قصد إبانة المعنى وتوضيحه، ويقصد الرماني بإبانة المعنى أي ظهور معنى جدير للفظ.

ومنه فقد درس الرماني الخصائص الفنية للاستعارة، حيث قال: "وكل استعارة حسنة، فهي توجب بيان لا تنوب منابة الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة فلابد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة"[1].

ومنه يوضح أن أسلوب الاستعارة أفضل وأقوى من أسلوب الحقيقة، ولو كانت الاستعارة تظهر نفس المعنى التي تظهره الحقيقة لكان التعبير أنفع.

وبالتالي ذكر الرماني أن للاستعارة ثلاث أركان منها، حيث قال: وكل استعارة فلابد فيها من أشياء: مستعار ومستعار له، ومستعار منه"[2].

بعد أن عرض الرماني مفهوم الاستعارة فقد وضح لنا بشواهد قرآنية يبرز أثر الاستعارة في المعنى، فمن الآيات التي نعرض لها التحليل فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [3]

يقول الرماني بيان الاستعارة فيه حقيقة "فبلغ ما تؤمر به والاستعارة أبلغ من الحقيقة لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير، فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ"[4].

ومنه فقد ذكر الروماني الكثير من شواهد الاستعارة في القرآن الكريم ويحللها بما يكشف عن أثرها في المعنى.

---

[1] لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 86.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 86.

[3] سورة الحجر، الآية 94.

[4] المصدر السابق ، ص 87.

4-التلاؤم:

يعرف الرماني التلاؤم بقوله: "التلاؤم نقيض التنافر والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف"[1].

ويقصد الرماني بالتلاؤم التوافق نقيض التخاصم ، أي التلاؤم يعني الحروف في التأليف، وللتأليف ثلاثة أوجه حسب رأي الرماني.

"متنافر، ومتلاءم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا"[2].

ومنه حسب رأي الرماني أن التلاؤم في الطبقة العليا هو أسلوب القرآن الكريم، والمتلائم في الطبقة الوسطى كلام البلغاء في العرب والمتنافر، فهو كلام يستثقله اللسان، وقد عارض ابن سنان الخفاجي هذا التقسيم بقوله: "وأما قوله [يعني الرماني] إن القرآن من المتلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الأمر على ذلك ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب هي ما يضاهي القرآن في تأليفه، ولعل أبا الحسن يتخيل أن الإعجاز في القرآن لا يتم، إلا بمثل هذه الدعوة الفاسدة"[3].

وعليه وحسب رأي ابن سنان الخفاجي هناك اختلاف في الرأي بينه وبين الرماني في إعجاز القرآن وفصاحته، حيث يرى الرماني أن فصاحة القرآن تحتل الطبقة العليا في البلاغة والتلاؤم، أما ابن سنان يعتبر فصاحة القرآن من فصاحة العرب، ولا يرى فرق بين فصاحة القرآن وفصاحة كلام الناس، وبالتالي نجد أن موقف الرماني صحيح، بحيث أن القرآن دائما في الطبقة العليا من التلاؤم لأنه عندما نقرأ القرآن تطمئن القلوب وتريح النفس بسماعه.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 94.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

[3] مُحَمَّد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة الخناجي لأصحابها أولاد مُحَمَّد الأمين الخانجي، شارع عبد العزيز بمصر، 1350-1932م، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، ص ص 91-92.

ومنه فإن الفائدة في التلاؤم عند الرماني هي "حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة "[1].

الفواصل:

ولقد صنف الرماني الفواصل واعتبرها بابا من أبواب البلاغة، حيث عرفها على النحو التالي: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة والأسجاع عيب"[2].

ومنه وضح الرماني في المقولة السابقة أنى الفواصل غاية في حسن إفهام المعنى، ولذلك كانت الفواصل والأسجاع عيب.

ومن خلال تعريف الرماني للفواصل نجد أن هناك وجهين للفواصل "أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، ومنه الحروف المتجانسة لقوله تعالى: ﴿**وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾[3].

أما الحروف المتقاربة كقوله تعالى: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) [4]، فالميم والنون حرفان متقاربان[5].

وبالتالي فإن فائدة الفواصل عند الرماني "دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآئ بالنظائر"[6].

التجانس:

يعرفه الرماني بقوله تجانس البلاغة "وهو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"[7].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 96.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

[3] سورة الطور، الآية 1-4.

[4] سورة الفاتحة، الآية 2-4.

[5] المصدر السابق ، ص 97.

[6] المصدر نفسه ،ص 99.

[7] المصدر نفسه ، ص 99.

يقصد هنا باكتشاف الألفاظ الذي يتشابهون في اللغة واحدة.

وقد قسم الرماني التجانس على وجهين "والتجانس على وجهين مزاوجة ومناسبة"[1].

"فالمزاوجة مثلا قوله تعالى: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [2]، أي جازهم على مكرهم، فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم"[3].

"أما التجانس المناسبة وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد لقوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [4]، فجونس الانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر"[5].

التصريف:

إن أهمية التصريف في اللغة العربية كبيرة، حيث عرفها الرماني "التصريف تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة"[6].

ومنه يقصد الرماني تحويل المعنى في المعاني المختلفة كتحويله في الدلالات المختلفة، ومن خلال التعريف نلاحظ أن الرماني قسم التصريف إلى قسمين:

1-تصريف المعنى في المعاني المختلفة: "كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب".

ويقصد إعادة صياغتها في اشتقاقات مختلفة وتناسبها في الاشتقاق بالعودة إلى أصل المعنى كتصريف الملك في المعاني الصفات، فصرف في معنى الملك وملك ذي الملكوت، والمليك، وفي المعنى التمليك، والتمالك والإملاك"، وهذه الألفاظ كلها ترجع إلى لفظ "الملك"[1].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 99.

[2] سورة آل عمران، الآية 53.

[3] المصدر السابق،ص 99.

[4] سورة التوبة، الآية 128.

[5] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3 ، ص 100.

[6] المصدر نفسه، ص 103.

2-تصريف المعنى في الدلالات المختلفة: "كتصريف معنى العرض في معارض مختلفة، الأعراض، الاعتراض، الاستعراض، التعرض، التعريض، المعارضة، العروض"[2].

"وقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى عليه السلام، ذكرت في سورة الأعراف، طه، الشعراء"[3].

ونجد في كل سورة ما يعاد ذكره في هذه القصة غير مخالف، بل هو في النهاية يعتبر بلاغة، ولهذا ذكر الرماني التصريف وجه من وجوه الإعجاز البلاغي.

التضمين:

يعرف الرماني التضمين قائلا: "تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه"[4].

ويقصد الرماني بتعريفه للتضمين هو اكتساب المعنى دون التنبأ أو التلفظ به، أي تفهم المعنى دون تصريح به "فمن ذلك "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به والتعظيم اللد بذكره، وأنه أدب من آداب الدين وشعار المسلمين، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمة، وأنه ملجأ الخائف ومعتمد للمستنجع"[5].

ومنه فقد صنف الرماني التضمين على وجهين:

"التضمين توجيه البنية، فالصفة بمعلوم يوجب أنه لابد من عالم، وكذلك مكرم"[6].

"التضمين يوجبه معنى: العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة بقاتل يدل على مقتول من حيث معه معنى القاتل ولا مقتول، فهو على دلالة التضمين"[1].

---

[1] المصدر نفسه ، ص 101.

[2] المصدر نفسه ، ص 01.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3 ، ص ص 101-102.

[4] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 102.

[5] المصدر نفسه، ص ص 103-104.

[6] المصدر نفسه، ص 103.

وبالتالي فقد وضح ابن هشام في كتابه معنى التضمين، حيث قال: "قد يشربون لفظا معنى لفظ، فيعطونه حكمة، ويسمى ذلك تضمينا، وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"[2].

أي أن اللفظة قد تؤدي معنى آخر بحسب السياق الذي تكون فيه وسماه التضمين.

9-المبالغة:

يعرفها الرماني قائلا: "المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة"[3].

ويقصد الرماني هما بتعريفه للمبالغة التقدم في المعنى، أي رفعها إلى أعلى درجة عن اللغة، وبالتالي فيجب التعبير عنها بالتوضيح والأسلوب الذي يفصح عن كثرة المبالغة، ولقد صنف الرماني المبالغة لعدة ضروب منها:

1-الضرب الأول: المبالغة في الصفة عن المعدول الجارية بمعنى المبالغة، ولذلك على أبنية كثيرة منها: فعلان، ومنها فعال، وفعول، ومفعل، ومفعال، كفعلان كرحمان عدل عن راحم للمبالغة، وفعال كغفار وتواب وعلاّم، مثل قوله تعالى:

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ [4]، فغفار معدول عن غافر للمبالغة"[5].

2-الضرب الثاني: المبالغة بالصية العامة في موضع الخاصة لقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [6]، وبالغ في العبارة عنهم"[7].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 103.

[2] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك حمد علي، ... الله، بيروت، لبنان، 1971، ط1، ص 763.

[3] لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 104.

[4] سورة طه، الآية 80.

[5] المصدر السابق، ص 104.

[6] سورة الزمر، الآية 59.

[7] المصدر السابق، ص 104.

وننظر لاستشهاد الرماني "خالق كل شيء" لأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وبيده كل شيء، فلا مبالغة في الآية أبدا، إلا أن الرماني يوضح رأيه، ومعنى ذلك يبين أن الله خالق كل شيء، وهو بذلك ينكر أفعال العباد.

3-الضرب الثالث: إخراج الكلام، مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقوله القائل: "جاء الملك" إذا جاء جيش عظيم له"[1].

4-الضرب الرابع: إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة: نحو قوله تعالى: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ "[2][3].

ومنه نستنتج أن الرماني ما يقصده في هذا الضرب لا يدخل الجمل في سم الخياط، ولا يدخل هؤلاء الجنة وهذا يدل على المعنى البعيد.

5-الضرب الخامس: إخراج الكلام مخرج الشك المبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج كقوله تعالى: إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[4][5].

ومنه (لعل هدى) تدل على النجاة أحد الرأيين (لعلى هدى)تدل على النجاة و (الضلال مبين) يدل على التهلكة أي الرأي الأول على صواب .

6-الضرب السادس: حذف الأجوبة لقوله تعالى: ص وَالقرآن ذِي الذِّكْرِ [6]، كأنه قيل لجاء الحق أو أو لعظم الأمر أو جاء بالصدق، كل ذلك يذهب إليه الوهم، كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من

---

[1] لأبي حسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص104.

[2] سورة الأعراف، الآية 39.

[3] المصدر السابق، ص 105.

[4] سورة سبأ، الآية 24.

[5] لأبي حسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص105.

[6] سورة ص، الآية 1.

التفخيم، والحذف أبلغ من الذكر، لأن الذكر يقتصر على وجه، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما تضمنه من التفخيم"[1].

البيان:

يعرفه الرماني "بأنه الإحضار لما يظهر به التمييز الشيء من غيره في الإدراك، وقد قسم البيان إلى أربعة أقسام (كلام، حال، إشارة، علامة"[2].

ومنه فقد قسم الكلام إلى نوعين:

"كلام لا يظهر به التمييز لشيء من غيره، فهو بيان وكلام لا يظهر به تمييز الشيء، فليس ببيان الكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم المعنى"[3].

وهنا يقصد الرماني ببيان الكلام تمييز الشيء عن غيره، ومنه نفهم أنه يشترط تحقيق أربعة أمور لعلو المرتبة البيان "وحسن البيان في الكلام مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة، فيما هو حقه من المرتبة"[4].

ونفهم من كلام الرماني أن شروط الكلام تمثلت في أربعة أمور لرفع مرتبة البيان وهي حسن في السمع ،خفة في اللسان ،حسن البيان ،وتقبله في النفس ،مقدار الحاجة .

ومنه برز الرماني أن القرآن كله في نهاية حسن البيان، فقد عرض الكثير من الآيات الكريمة جهة الحسن فيها لقوله تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) [5].

فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار"[6].

---

[1] لأبي حسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص ص 105-106.

[2] نفس المصدر، ص 106.

[3] المصدر نفسه ، ص 106.

[4] المصدر نفسه، ص 107.

[5] سورة الدخان، الآية من 24 إلى 26.

[6] المصدر السابق، ص 107.

ومنه نستنتج أن الرماني قد أنهى الحديث عن أقسام البلاغة العشرة التي ربطها بالإعجاز القرآني، والتي ترتكز هذه الأقسام على البلاغة، وقد اهتمت البلاغة بقضية اللفظ والمعنى وعلاقتهما ببعضهما أثناء حديثه عن الجانب التعبيري والصياغة اللفظية، وإن المعاني تحدد توضيح المعلومات في الألفاظ حتى يتشكل الذوق الفني وحسن البلاغة فيها.

النظم عند الرماني:

لم يشغل الرماني نفسه كثيرا في نظرية النظم، حيث قال: "فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة"[1].

ويرى الرماني حسن النظم يعود إلى اللفظ والمعنى، حيث اعترف بحسن اللفظ، وتزايد الفائدة وصحة الدلالة.

ويقول الدكتور الأخضر الجمعي: "غير أن إضافة حسن النظم كشف عن وعي بفعالية ثالثة تنضاف إلى عنصري الجمال السابقين، ومع ذلك لا يمكن ضبط مدلول النظم في النص السابق بدقة، غير أن ذكره اللفظ والمعنى يكاد يقرب معناه من مفهوم التأليف، الذي يبدو واضحا في قول الرماني"[2].

ومن خلال قول الأخضر الجمعي نستنتج أن حسن النظم عنده يعود اللفظ والمعنى، وفي نظره أن مدلول النظم لا يمكن أن نحصره أو نظمه لهذه الثنائية، وبالتالي فإنه يقرب مفهوم النظم من مفهوم التأليف.

وفي ظل هذا يرى أحمد أبو زيد أن "ما يمتاز به خطاب الرماني من الإلحاح على الصورة السمعية للكلام، وما يتصل به من السهولة والحفة على اللسان وعذوبة الألفاظ والتلاؤم والتجانس

[1] لأبي حسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص 82.

[2] الأخضر الجمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب –دراسة اتحاد الكتاب للعرب–، دمشق، 2001، ص 175.

دليل على أن ينظر للنظم القرآني نظرة تقوم على اعتبار الصياغة اللفظية موضوعا له، وتلك هي النظرة التي وضعها الجاحظ أسسها الأولى منذ القرن الثالث الهجري"[1].

إن أبوزيد معجب برأي الرماني لسهولة لفظه والتلاؤم والتجانس، وهذا يدل على رؤيته للنظم نفس النظرة، وتعتبر كلها من الصيغة اللفظية في نظر أبوزيد.

ومن خلال دراستنا لموقف الرماني نلاحظ أن الرماني كان مهتما بعلم البلاغة وأقسامها، حيث وضح اهتمامه باللفظ والمعنى وعلاقتهما ببعضهما في بروز نظرية النظم، حيث يرى أن حسن النظم يكمن في القرآن الكريم وإعطائه أعلى مرتبة، إلا أنه لم يدرس نظرية النظم كثيرا، ولم يتطرق إلى أهم تفاصيله وقد جعل البلاغة من أهم المواضيع بالنسبة له ودرسها بأدق التفاصيل ووضحها، حيث تحدث عن ثنائية اللفظ والمعنى وجعلها في محتوى أقسام البلاغة التي عالجها، وتحدث عنها في مؤلفه النكت في إعجاز القرآن.

[1] أحمد أبو زيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، دار الأمان، الرباط، 1989، ط1، ص 65.

المبحث الثالث: الألفاظ والمعاني عند القاضي عبد الجبار

يعد القاضي عبد الجبار من العلماء الباحثين اللذين شغلوا بقضية اللفظ والمعنى في الإعجاز القرآني، والتي تعد بمثابة قضية كبيرة شغلت حيزا واسعا لدى غيره من الباحثين، وقد جاء القاضي عبد الجبار بعد اطلاعه على دراسة الجاحظ حول هذه القضية وآفاق نظرته التي تؤخذ بعين الاعتبار.

التعريف بشخصية القاضي عبد الجبار:

هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعية[1].

وكانت ولادته ما بين عامي 320 و325هـ كان في بداية أمره أشعريا في الأصول، ثم تحول بعد فترة إلى مذهب المعتزلة وخاصة بعد رحيله إلى البصرة واحتكاكه بدوائر المتكلمين من المعتزلة، وربما يكون هذا التحول، قد حدث وهو في السن 24، وقد تعرف القاضي على كبار رجال المعتزلة وعلى رأسهم أبو إسحاق بن عياش وأبو عبد الله البصري.

ويعد القاضي عبد الجبار من أبرز أعلام مذهب المعتزلة وأكثرهم شرحا وتوضيحا لهذا المذهب ودفاعا عنه.

توفي القاضي عبد الجبار بالري سنة 415هـ[2].

موقف القاضي عبد الجبار من الألفاظ والمعاني:

تطرق القاضي عبد الجبار إلى التحدث عن قضية اللفظ والمعنى، بحيث درس اللفظ ودوره في أداء المعنى، وعن المعنى ومكانته في الفصاحة والكلام، إلا أن القاضي جعل الكلام الفصيح يرجع للفظ دون المعنى، وعبر القاضي عبد الجبار عن موقفه من خلال كلام رأي هاشم الجبائي، حيث

[1] الإمام شمس الدين الذهبي، كتاب سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، وطني المعد طيبة، مبنى عبد الله سيت 1417هـ/ 1992، م، ج17، ص 244.

[2] د. إبراهيم تركي، السببية عند القاضي عبد الجبار، ط1، دار الوفاء لدنيا، الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص ص 21-24.

قال: "إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه، وحسن معناه ولابد من اعتبار الأمرين لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا، فإذن يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين"[1].

تكمن الفصاحة إذا ما اتفقت جزالة اللفظ مع حسن المعنى، وكان بينهما التلاحم والربط الجيد، ففصاحة الكلام واستحسانه لا يكون إلا في قالب، صيغ فيه اللفظ يحمل معناه متناسق معه، فإن الاختلاف من حيث المتانة والجزالة لبينهما يفقد الكلام فصاحته، لأنه لا وجود للكلام فصيح حسن لفظة وفسد معناه.

فقد أهمل أبا هاشم الجبائي عنصرا أساسيا في البلاغة، وهو الصورة تركيب الكلام، إلا أن القاضي عبد الجبار لاحظ ذلك وتدارك الأمر، حيث قال: "أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول العنصر، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع"[2].

وعلى ضوء هذا القول فإن القاضي جمع الكلام الفصيح بجزالة اللفظ، وقد اعتبر أن الفصاحة لا تكون مفردة بمفردة، وإنما بجمع المفردات ومع بعضها البعض، ومعنى هذا فإن الفصاحة في رأي القاضي هو طريق النظم الذي سماه الضم، ويكون ذلك بمخالفة التعبير الشائع العادي إلى التعبير الجميل الذي يتميز بالفصاحة والبلاغة، ومنه فإن عب الجبار جمع فكرة النظم الفصاحة، باعتباره أن النظم قوام الفصاحة.

حيث قال: "ولا يكون الكلام فصيحا إلا بحسن معناه، وموقعه واستقامته، كما لا يكون إلا بجزالة لفظه"[3].

يقصد القاضي من خلال كلامه أن حسن الكلام وجزالة اللفظ لهما فضل في نظم الكلام وجمال التأليف وبحسن الألفاظ العذبة، ويقبح بالألفاظ القبيحة الخشنة.

---

[1] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إعجاز القرآن، ج16، أمين خولي، ص 199.

[2] المصدر نفسه، ص 199.

[3] المصدر نفسه ، ص 357.

وهذا ما أكده الجبائي بقوله: "وليس فصاحة الكلام بأن يكون النظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم، قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذ أريد بالنظم اختلاف الطريق، وقد يكون النظم واحد، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه، لأنه الذي يتبين في كل نظم وكل طريقه، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء، يسبق إليه ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء، فيساويه في ذلك النظم، ومن يفضل عليه بفضله في ذلك النظم"[1].

فالجبائي هنا قد أزاح الفصاحة عن النظم، حيث يرى أنها ليست شرطا ليكون الكلام فصيحا، فالخطيب عنه أفصح من الشاعر، والنظم هو طريق التي يؤدا بها الكلام بالنسبة له، فطريقه تأدية الخطيب تختلف عن طريق تأدية الشاعر حسب رأي الجبائي.

ساند شوقي ضيف رأي الجبائي بقوله: "وكلام أبي هاشم صريح في أن النظم لا يصلح أن يكون مفسرا لفصاحة الكلام لأن النظم قد يكون واحدا، ويفضل أديب صاحبه فيه، وكأنه يرد بذلك على الجاحظ وأمثاله اللذين يرجعون إعجاز القرآن إلى نظمه وطريقه، ويقول إنه لا يوجد في الكلام إلا اللفظ والمعنى ولا ثالث لهما"[2].

اتبع هنا شوقي ضيف رأي الجبائي سابقا على رأي واحد بأن الفصاحة تعود إلى جزل اللفظ وحسن المعنى، ولا شأن للنظم في إثبات الكلام الفصيح، فقد ينظم الأديب نظما يفضل به نظم أديب آخر وبهذا يعود إلى طريقة الأداء.

وهذا ما وضحه مُحَمَّد زغلول سلام حين قال: "إذن فلا يمكن أن يكون اللفظ المقصود هو التركيب اللفظي في عبارة مفيدة أو جملة، والمعنى هو المعنى الذي ندل عليه تلك العبارة، ولما كان مجال بحث البلاغيين منذ القدم هو العبارة، وكل ما يقال عن اللفظ والمعنى ينصرف إليها"[3].

وعليه نلاحظ من كلام مُحَمَّد زغلول يتشابه بكلام القاضي في معيار الفصاحة، فالفصاحة عنده لا ترجع إلى اللفظ المفرد أو إلى المعاني، وإنما ترجع إلى السياق وما يحدث في صورة تركيب الكلام.

---

[1] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إعجاز القرآن، ج16، أمين خولي، ص 197.

[2] الدكتور شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ص ص 115-116.

[3] مُحَمَّد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، معارف الإسكندرية، ط1، ص 67.

ظل القاضي محتفظا بجوهرة النظرية الاعتزالية في النظم والإعجاز القرآني، فقد جعل إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته، حيث يعد جوهر هذا الكلام ليس من اللفظ وحده أو المعنى وحده، وإنما بجزالة اللفظ وحسن المعنى.

وقد تحدث القاضي عن البيان وخصص جزء من مؤلفه للتحدث فيه، ووضح أن المعاني لا تظهر فيه المزية بقوله: "إن المعاني وإن كان لابد منها فلا تظهر فيها المزية وإن كان تظهر في الكلام لأجلها، ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد، يكون أحدهما أفصح من الآخر، والمعنى متفق، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع، والمعبر عنه في الفصاحة أدون، فهو مما لابد من اعتباره، وإن كانت المزية تظهر بغيره"[1].

ومعنى هذا فإن القاضي عبد الجبار لم يهمل المعنى كليا، ولكنه لم يجعله ضمن مجال المزية، بل أرجع المزية في الكلام الفصيح اللفظ وأضاف القاضي عبد الجبار بقوله: "فالذي به تظهر المزية ليس به الإبدال الذي به تختص الكلمات، أو التقدم أو التأخر الذي يختص الموقع، أو الحركات التي تختص الإعراب، فبذلك تقع المباينة، ولابد في الكلاميين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أن يكون، إنما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه ولا يمتنع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أفصح منها، وإذا استعملت في غيره، وكذلك فيها، إذا تغيرت حركاتها، وكذلك القول في جملة من الكلام، فيكون هذا الباب داخلا فيها ذكرناه في موقع الكلام، لأن موقعه قد يظهر بتغير المعنى، وقد يظهر بتغير الموضع، وبالتقديم والتأخير"[2].

ومن خلال كلام القاضي نفهم أن الفصاحة التي يفسر بها الإعجاز القرآني التي يتفاضل بهال البلغاء لا تظهر بها أفراد الكلام، وإنما تظهر بالتأليف والتركيب، وضم الكلام إلى بعضه البعض والكلمة لا تعد فصيحة في نفسها، بل لابد من صفات مختلفة لها وهي:

1-كالإبدال الذي تختص به الكلمات.

2-الموقع الذي يختص بالتقديم والتأخير.

3-الإعراب الطي تختص بالحركات الإعرابية.

---

[1] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إعجاز القرآن، ج16، أمين خولي، ص 199.

[2] المصدر نفسه ، ص 200.

الإبدال:

يقصد القاضي عبد الجبار بالإبدال اختيار كلمة معينة من بين الكلمات الأخرى التي نستخدمها في السياق، والذي تحدث عنها القاضي في المقولة السابقة.

"والذي تظهر به المزية ليس بالإبدال التي تختص به الكلمات"[1].

الموقع:

قد اهتم القاضي بالموقع لأن له صلة في القرآن الكريم، ويوضح سلامة الأسلوب القرآني ودقة نظمه التي توضح التقديم والتأخير حسب رأي القاضي.

الإعراب:

وهو العنصر الثالث والأخير من عناصر الفصاحة التي حددها القاضي بعد اختيار الكلمة المناسبة للسياق يتم وضعها في الموقع المناسب لها، فينظر لها حين تتناوب الحركات الإعرابية وتشترك مع الإبدال والتقديم والتأخير، حيث قال القاضي: "وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب"[2].

موقف القاضي عبد الجبار من المجاز:

لم يتحدث كثيرا عن المجاز مثلما تحدث عن النظم والفصاحة، حيث قال: "ولا فصل فيما ذكرناه بين الحقيقة والمجاز، بل ربما كان المجاز أدخل في الفصاحة، لأنه كالاستدلال في اللغة، والغالب أنه يزيد على المواضعة السابقة، ولأنها مواضعة تختص، فلا تفارق المواضعة العامة، فلا يمتنع أن يكون كالحقيقة وأزيد"[3].

ومنه نستنتج أن القاضي عبد الجبار قد اعتبر المجاز مواضعة خاصة أكثر من الأصلية (الحقيقة اللغوية)، ومنه فقد عرف القاضي المجاز قائلا:

---

[1] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إعجاز القرآن، ج16، أمين خولي، ص 200.

[2] المصدر نفسه ، ص 199.

[3] المصدر نفسه ، ص 200.

"وهو أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له في الأصل"[1].

كما عرفه تعريفا أكثر وضوحا حين قال:

"التجوز هو أن توضع اللفظة في غير موضعها وأن يفاد بها غير ما وضعت له"[2].

يقصد هنا تحويل اللفظ عن موضعه الأصلي واستعماله في موضع جديد.

ومنه نستنتج أن القاضي عبد الجبار لم يفصل بين اللفظ والمعنى، بل أعطى الأولوية اللفظ، حيث ربط ثنائية اللفظ والمعنى بفصاحته التي تقوم على جزالة اللفظ وحسن المعنى، وإن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في التعبير حسب رأي القاضي.

وبهذا فقد أسهم بدوره بدفاع عنها في الكشف عن النظم، وقد حرص حرصا شديدا على تطويره باعتباره أنه أساس البلاغة، وبالتالي نجد القاضي بنظريته في الفصاحة والإعجاز القرآني ونظرية النظم أنه أعطى اللفظ والمعنى مكانة سامية في البلاغة والنقد.

موقف القاضي عبد الجبار من المجاز:

لم يتحدث كثيرا عن المجاز مثلما تحدث عن النظم.

[1] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ط1، 1995، ص 436.

[2] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، خلق القرآن، قوم نصه، إبراهيم الأبياري بإشراف طه حسين، ج7، ص 209.

الفصل الثاني

الألفاظ والمعاني عند الأشاعرة

تمهيد:

النقد العربي بحر واسع كلما غصنا في أعماقه وجدنا العديد من القضايا التي ما تزال محل بحث ودراسات تعددت فيها الآراء وكثرت حولها وجهات النظر، وطرحت العديد من التساؤلات، ومن بين أهم القضايا النقدية التي سألت الكثير من الحبر قضية اللفظ والمعنى، التي أظهرت مختلف المواقف بين مؤيد للفظ ومؤخر للمعنى، وبين متعصب للفظ ومؤخر للمعنى، وبين وسط جامع بينهما، اعتبر كل من اللفظ والمعنى جسدا وروحا لا يفترقان، ظهرت هذه الخلافات مع الفرق الكلامية الأشاعرة والمعتزلة، بحيث وثق كل منها رأيه بحجج وبراهين جاءت بعد النظر هذه الثنائية حسب الزاوية التي انطلق منها كل فريق، بحيث تطلبت هذه الآراء العديد من الأبحاث بغية الوصول إلى نتيجة تعطي كلا من اللفظ والمعنى منزلته الحقيقية.

إن الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى والشروع في دراستها لم يقتصر على مجموعة من العلماء، بل أخذ حيزا واسعا من الأبحاث والدراسات لدى النقاد والفلاسفة والباحثين، حتى أنه ظهرت مجموعة كبيرة من الكتب التي تخدم قضية هذه الثنائية، فهناك من العلماء من خصص مؤلفات تعنى بدراسة قضية اللفظ والمعنى، نذكر من أبرزهم "الباقلاني" الخطابي والجرجاني.

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني عند أبي بكر الباقلاني

هو أبو بكر: مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني. ولد بالبصرة، ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته[1].

وقد وقف الباقلاني حياته على أمرين، ملكا عليه أقطار نفسه وشغفا حبا وهما: التدريس والتأليف[2].

أما "التأليف" فقد أسهم الباقلاني بنصيب موفور...، وقد تسنى له أن يؤلف نيفا وخمسين كتابا، لم يصل إلينا منها إلا عدد يسير... وما علمناه من حديثها، فيما يلي:

-كتاب "إعجاز القرآن"، ويأتي عنه الحديث في ما بعد.

-كتاب التمهيد...[3].

قال الصقدى في الوافي بالوفيات 177/3: "أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام، وكان ثقة عارفا بالكلام، صنف الرد على المعتزلة والخوارج والجهمية"[4].

توفي سنة 403، تارك وراءه كتاب خدم فيه القرآن الكريم ودافع عنه أمام الفرق الكلامية المخالفة أمثال المعتزلة.

كان جل اهتمام الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" هو الذود عن كتاب الله والدفاع عنه، تناول قضية الإعجاز القرآني مبينا مواطن الإعجاز فيه، فقد رسخ جهد رحيبا في دراسته التي كانت بمثابة رد وتفنيد لما جاءت به الفرق الكلامية، وبالتحديد "المعتزلة".

وعلى وجه الخصوص رفضه للجانب البلاغي والبديعي التي نسبوا لها الإعجاز القرآني، حيث أكد أن أسلوبية القرآني الكريم وبلاغته فريدة من نوعها تفوق حنكة العرب وبلاغتهم، رغم أنهم أهل البلاغة والفصاحة واللغة، إلا أن القرآن أعجزهم بلغتهم وبلاغتهم.

---

[1] إعجاز القرآن، للباقلاني أبي بكر مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ج-م-ع، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

[4] المصدر نفسه، ص 51.

وفي هذا يقول: "إن من كان أهل اللسان العربي، إلا أنه لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعرفونه فصيحا بليغا من عصره، فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف رسائل الإعجاز القرآني إلا يمثل ما بينها، أن يعرف الفارسي وهو من أهل اللسان سواء"[1].

تضمنت دراسة الباقلاني في إعجاز القرآن عدة جوانب واحتوت عدة أوجه، والتي نذكر منها ثنائية اللفظ والمعنى ونظرية النظم.

ثنائية اللفظ والمعنى عندها:

تحدث الباقلاني كغيره من علماء الإعجاز عن ثنائية اللفظ والمعنى وأبى إلا أن تكون العلاقة بينها علاقة التحام لأنهما أساس صياغة الكلام الذي تبنى عليه نظرية النظم التي ربطها بوحدة النص والتناسق الموجودة بين أجزاءه، قسم الباقلاني الإعجاز إلى ثلاثة أوجه نذكرها على النحو التالي:

الأول أخذ منحى الأخبار عن الغيوب، وهذا ما لا يمكن لبشر أن يستطيعون إدراكه، ودليل ذلك قوله عز وجل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[2]، فالغيب لا يعلمه إلا الله، وهي صفة جردت من كل البشر لأنها أمر خارق عن العادة، لا يستطيع إدراكها إلا خالق الكون عز وجل.

فأما الوجه الثاني أنه كان معلوما من حال النبي ﷺ أنه كان أميا لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ...، ولذلك قال عز وجل: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ[3].

كانت كل العرب على دراية بأمية الرسول ﷺ وهذا دليل على أنه لم يكن من أهل الاختصاص، وهذا العلم ولا حتى أهل المعرفة حتى أنه لم يكن شاعرا أو شيئا من هذا القبيل.

وبالنسبة للوجه الثالث الذي خصه: بديع النظم، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[1].

---

[1] إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 82.

[2] سورة التوبة، الآية 33.

[3] سورة العنكبوت، الآية 48.

وقد تحدث الباقلاني عن الوجه الثالث وأعطاه اهتماما بالغا مبينا في ذلك يقينه القوي بأن الإعجاز في القرآن الكريم يعود لنظم معجز فريد من نوعه وتأليف عجيب معجز بهر كل البشر به، وأبهت أصحاب العلم والصنعة، وحيرهم من أمره لما حمله هذا النص من دقة وفصاحة وبلاغة... وعلم شمل العناية بالألفاظ والمعاني والبديع والبيان.

وتحدث الباقلاني عن كل جملة وما تتضمنه "منها: ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[2].

وهنا أكد أن سر جمال هذا الإعجاز يكمن في حياكته في نظم اللفظ والتركيب والصورة، حيث أكد على الحرص في إتقان توظيف الألفاظ والمعاني في صياغة الكلام من خلال الجمع بينهما شرط توخي معاني النظم، وهذا ما لمح إليه حيث قال: "أن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، وإلى مثل هذا النظم وقع التحدي"[3].

كما اهتم الباقلاني بالرد على من يظن أن التفاوت موجود في كلام الله.

"وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجود التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه، ولا انحطاط على المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا[4].

لأننا قد نجد التفاوت في كلام الشعراء والناس عادة والفصحاء، فالقرآن لا يتفاوت في آيته ولا في سوره حيث قال: إن قال قائل: بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه، أهو حروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غير ذلك؟

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، د ط، مصر، د ت، ص ص 33-35.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] أحمد سيد محمد عمارة، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي، ص 148.

[4] المصدر السابق، ص 37.

قيل: الذي تحداهم به: أن يأتوا بمثله الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها، متتابعة كتابهما، مطردة كاطراها ،ولم يتحدهم إلا بمثل هذا الكلام القديم الذي لا مثيل له"[1].

ويفند الباقلاني فكرة أن يكون الإعجاز في النظم يكون عائدا لكون العبارات والكلمات قديمة حيث أكد ذلك بقوله، فلو كان كذلك لكاتب التوراة والإنجيل معجزة في نظمها وكلامها لأنها كلام قديم ومتفاوت مثل ما ورد في الشعر.

وعرض الباقلاني عدة حجج وظفها بغيته تبيان وجهة نظره وتوضيحها، فعلى سبيل المثال ما جاء في شعرهم من بديع هذا ما نكره وخالف فيه الرماني.

"كقول النابغة الجعدي:

فَتَى كَمَّلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرُ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يَبْقَى مِنْ اَلْمَالِ بَاقِيًا

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقُهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ إِلَّا عَادِيًّا.

ووجوه البديع كثيرة جدا فاقتصرنا على ذكر بعضها، ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التأويل فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع[2].

فالإعجاز في القرآن الكريم لا يعود إلى التفاوت أو الكلام القديم أو بديع الكلام، ووجوه البلاغة العشرة التي ذكرها الرماني"، بل يكمن في أهمية الالتحام الموجودة بين الألفاظ والمعاني وطريقة الجمع بينهما، فحسن الكلام من حسن الصياغة والتأليف وضم الكلام بعضه إلى بعض بطريقة خارجة على ما معتاد عليه البشر، وسلك منحى مغاير ومعجز عن ما جاء به كل الناس، وهذا ما أكده الباقلاني حين قال: فإن قالوا كيف يكون القرآن معجزا، وهو غير خارج عن حروف المعجم التي يتكلم بها الخلق من أهل الفصاحة واللهنة والثكنة قيل لهم، ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وأحكامها ووضعها، وكونها على وزن ما جاء به الرسول ﷺ، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومتردية في الوجود، وليس لها نظم سواها وهو كتتابع الحركات إلى السماء، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض"[3].

---

[1] إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 394.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

[3] إعجاز القرآن، الباقلاني، ص ص 177- 178.

وما تطرق إليه الباقلاني في دراسته "صياغة الكلام"، بحيث صرح أنها تعود للاتساق الحسن بين الألفاظ والمعاني وحسن انسجامها ومحكم توضيحها في الكلام" أن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذ كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وواضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على آذان ولا مستنكر المورد في النفس حتى يأبى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يتمتع بتعويص معناه عن الإبانة"[1].

فكلما كانت الألفاظ والمعاني في تناسق حسن، بحيث يكون اللفظ حامل للمعنى الذي وضف لأجله كلما كان الكلام جميل.

اهتم الباقلاني باللفظ بقدر اهتمامه بالمعنى ورفض فكرة التفضيل بينهما، فهو يؤكد أنه لا وجود للفظ دون المعنى ولا وجود للمعنى دون اللفظ لأنهما عنصر أساسي في الأسلوب الذي يقتضي مراعاة خلق الجودة بينهما بتوظيف كل منهما في موقعه الصحيح على منحى دقيق ، يعنى بالحال والوحدة العضوية الأجزاء الأدبية المترابطة والمتواجدة داخل النظم، وهذا ما سماه بالمزية الموجودة في حسن صياغة الكلام التي يتطلبها النظم"، وهو أن المعاني التي تضاهيها في أصل الشريعة والأحجام والاحتياجات في أصل الدين والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعية، وموافقة بعضها بعض في اللطف والبراعة، مما يتعذر على البشر ويمتنع ذلك أنه قد علموا أن تخير الألفاظ للمعاني مبتكرة وأسباب مؤسسة مستحدثة[2].

واهتم الباقلاني بالنظم الذي يراعي الصياغة اللفظية المحسوسة ونظم يعنى بالوحدة الفنية، ونادى بضرورة التنسيق بينهما.

لأن الباقلاني من أنصار الصياغة الكلامية اللفظية المعنوية التي تراعي الترتيب بناء تراكيب النص التي ترفض التفضيل والفصل بين ثنائية اللفظ والمعنى، فالفصل بينها هو "فصل الجسد عن الروح والروح عن الجسد، وذلك لأن جمال الألفاظ في تعلقها بالمعاني وحسن المعاني في جودها في تركيب"[3].

---

[1] إعجاز القرآن، الباقلاني ، ص 42.

[2] المصدر نفسه ، ص 42.

[3] البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1986، ص 21.

نظرية النظم عنه:

يرى الباقلاني أن الإعجاز القرآني يكمن في نظمه وتأليفه على منحى مغاير عن العادة على وجه الخصوص، رافضا بأن تكون الوجوه البلاغية موجودة في الإعجاز، بل هي دعائم وركائز ساندته وجدت داخل الأسلوب أو نظم البديع، لأنه يرى بأن القرآن الكريم تبقى عدد كبير من الخصائص والميزات التي خلت من باقي النصوص البشرية، وتكمن البلاغة عنده في بلاغة النظم التي تعتمد على الوحدات الموجودة داخل النص ن تناسق وانسجام، وهذا ما أكده حين صرح بأن الإعجاز موجود في القرآن الكريم آية آية، سورة سورة ،أي أن كل سطر في هذا النص العظيم دون أن نميز بينهما سواءا.

قصرت أم طالت لأن البلاغة تظهر في جميع مواطنه دون استثناء، وتميز وتفنيد أن تكون وجوه البلاغة وصور البديع التي صرح بها الرماني هي أساس تفسير الإعجاز القرآني يعود إلى استثناء الإعجاز الذي قد يكون في آية، ويبطل من أخرى وهذا ما اعتبره الباقلاني تقليل من شأن القرآن الكريم وتشبيهه ببقية النصوص البشرية كالشعر والنصوص الأخرى وهذا مالا يمكن تصديقه.

كما يرى الباقلاني أن "الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس، لكن جعل عليه أمارت تدل عليه، فتارة تكون قولا باللسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه، وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم...، وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل الخط في الدلالة مقام النطق باللسان "[1].

وأكد الباقلاني أن النظم يعتبر الحلقة العضوية الرابطة بين الألفاظ والمعاني، وهو تأليف للعبارات وبناء النص على أساس تراعي فيه المواضع التي حبكت فيها مع ذكر التقديم والتأخير، وتتابع الحركات وربطها بالأسلوبية "ونظم القرآن" جنس متميز وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص"[2].

لأن أسلوب القرآن الكريم يتميز عن سائر الأساليب ويخالفها مخالفة أعجزتهم أن يحيكوا مثله.

[1] الإنصاف، الباقلاني، تحقيق محمد زاهدين الحسن تلكوفي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، 1396هـ/ 1950، ص 94.

[2] إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 159.

رغم ملاحظتنا لتكرار الذكر "الباقلاني" لكلمة "نظم"، إلا أنه لم يعطي مفهوما واضحا وصريحا مباينا له، بل كانت دراسته هذه كانت بمثابة التناقض فتراه يذم ويهاجم الفرق الكلامية (المعتزلة)، وتارة نجده متأثر بالجاحظ و"الرماني"، حيث قال عنه أحمد سيد مُحَمَّد عمار: وتخرج من كلام الباقلاني عن النظم، إن هذه الكلمة وإن ترددت كثيرا في ثنايا كتابه، لم تأخذ عنده طابع المصطلح العلمي الواضح الذي وضعه لها عبد القادر فيما بعد، فقد خلف بناء في عبارات إنشائية قائمة، وأن كانت لا تفتقر إلى الحوارة، حالت دون تحديد معالم هذه الكلمة عنده"[1].

[1] أحمد السيد عمار مُحَمَّد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ص ص 148-149.

المبحث الثاني: الألفاظ والمعاني عند عبد القاهر الجرجاني

التعريف بعبد القاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجرجاني (400هـ-471هـ) (1009م-1078م) فارسي الأصل، جرجاني الدار، ولد في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي، نشأ ولوعا بالعلم[1] محبا للثقافة، فأقبل على الكتب بنهر القارئ الذي لا يشبع، وخاصة كتب النحو والأدب، وأخذ العلم عنى أبي الحسين "مُحَمَّد الفارسي"، كما أخذ الأدب على "القاضي عبد العزيز الجرجاني، وقرأ كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه".

تعلم "عبد القاهر" على آثار الشيوخ والعلماء الذين أنجبتهم اللغة العربية، فلطالما وجدناه ينقل في كتبه "عن سيبويه" و"الجاحظ" و"أبي علي الفارسي" و"ابن قتيبة" و"قدامة بن جعفر" و"الأمدي" و"القاضي الجرجاني" و"أبي هلال العشري" و"عبد الرحمن بن عيسى الهمداني".

يعد "عبد القاهر الجرجاني" من بين الأوائل المؤسسين للبلاغة، عرفه باهتمامه الشديد بالأدب والشعر صاحب البصمة البارزة على علوم القرآن والنحو والصرف، ترك وراءه مؤلفات تعد مؤخرة للمكتبة العربية، والتي نذكر من بينها كتاب "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، والذي يعد همزة وصل ونقطة انطلاق للاطلاع على موضوع الدراسات القرآنية، كما اشتهر بكناية "الإيضاح في النحو" وكتاب الجمل، ساهم "الجرجاني" في نمو البلاغة ودراسات القرآنية، وكان أحد نوابغ علماء العرب.

بعد ظهور الصراعات الفكرية التي أحدثتها المذاهب التي كانت تلبس المزية للفظ دون المعنى، وتعمل على التفضيل بينهما بتقديم اللفظ وتأخير المعنى، جاء الإمام "عبد القاهر الجرجاني" بمناقشة حادة مفادها أن التلازم بين اللفظ والمعنى هو أساس الظاهرة اللغوية، ولابد من شدة تلاحمهما، واعتبر أن الألفاظ وعاء تصب فيه المعاني ولا يمكن أرجحة الكفة لطرف منهما دون الآخر.

واهتم "عبد القاهر" بقضية اللفظ والمعنى ووضح علاقتهما بالإعجاز القرآني بحجج دامغة وبراهين جاء بها من أجل الرد على ما جاءت به هذه التيارات المتعصبة للفظ، وقد قدم "الجرجاني"

[1] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص ص 571-572.

عمل جبار لهذا الموضوع وشهد له بذلك شوقي ضيف حين قال: "ولعبد القاهر الجرجاني مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه "دلائل الإعجاز"، أما النظرية الثانية فخص بها وبمبحثها كتابه "أسرار البلاغة"[1].

تحدث "الجرجاني" عن اللفظ والمعنى وأعطى لكل منهما المكانة التي تليق به دون التفضيل بينهما وأكد على ضرورة التنسيق المحكم في توظيفهما شرط مراعاة معاني النحو وحسن صياغة العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى اللفظي القائمة على حسن صياغة العلاقة التي تربط بين اللفظ والمعنى الذي يستدعي وجود التلازم بينهما لأن الألفاظ والمعاني عنده كالجسد والروح لا يتقدم أحدهما عن الآخر ولا يمكن الفصل بينهما، فالألفاظ لا يمكنها أن تثبت فصاحتها وهي مفردة ومجردة، إلا إذا اكتسب من الفصاحة نظما وسط الكلام الذي لا يكتسي من الفصاحة والبلاغة إلا بالجمع بين اللفظ والمعنى في صياغة الكلام، بحيث أن النحو يقوم على أساس العلاقة الكلامية حتى يتشبع ويستوي في أسسه وقواعده منه، والألفاظ ليست متفاوتة لكونها ألفاظا مفردة أو مجردة بذاتها، بل تكمن قيمتها ومزيتها في توافق وتنسيق صياغة الكلام لأن اللفظة المجردة لا قيمة ولا وزن لها في الفصاحة أو البيان أو البلاغة، وهي مفردة دون معنى، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة حين قال: "الألفاظ خدم المعاني"[2]، فاللفظ عنده لا يكتمل فصاحة إلا باكتمال معناه، وفند أن يكون اللفظ عنده أدبية مجردة بذاتها تقوم على الفصاحة والبلاغة لأن الكلام لا يتضح إلا بمعناه، واللغة ليست مجرد مجموعة من الألفاظ بل هي رموز وإشارات ومعان ... .

وهذا ما أكده مُحَمَّد منذور حين قال: أعلم أن هنا أصلا ترى الناس فيه صورة من يعرف جانب وينكر آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة لم تعرف معانيها في سماها، ولكن لأن يضم ببعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد"[3]، فالمزية في اللفظ لا تكمن في كونه مفردا بل تظهر في حسن تلائمه مع المعنى، مما يبعث فيها الجمال الذي تتحلى به حيال توظيفها في موضعها الصحيح، وإذا ما بلغت المبتغى من

[1] شوقي ضيف، البلاغة وتطور وتاريخ، دار المعارف، ص 160.

[2] أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، دار المعاني ، ص 05.

[3] في الميزان الجديد، مُحَمَّد منذور، ط3، مكتبة نهضة، مصر، ص 175.

التعبير في الكلام، لأن الفصاحة تنبت في جوهر الكلام الذي يعتمد على السياق في الصياغة في التعبير القائمة على التنسيق بين الألفاظ والمعنى، لأن اللفظة تكون فصيحة في موضع وتفقد فصاحتها إذ ما غير موضعها، فالألفاظ المجردة مجرد اصطلاحية واتفاق على أمر ورموز الأشياء نشير إليه باللفظ، والسامع يستقبل اللفظ والدال ليفهم المدلول لأن الألفاظ مجرد أصوات مثل: لفظة زهرة هي مجموعة من الحروف والأصوات ،زهرة (ز. هـ. ر. ة) لا يمكن للسامع أن يعرف معناه بلفظة دون اللجوء إلى الصورة (المعنى)، ولو كانت الألفاظ كافية بذاتها لما رسم المتحدث في ذهنه الصورة، ثم بحث عن ألفاظ ليعبر عنها، وهذا ما أكده "الجرجاني" بقوله: الألفاظ خدم المعاني، وأن المعاني تقع في النفس أولا، وهذا ما يعلمه كل عاقل[1].

تختلف فصاحة الكلمة واللفظة حسب اختلاف موقع توظيفها في الجملة، ففي بعض الأحيان نجد لفظة فصيحة عند لدى البعض ومنبوذة لدى البعض الآخر، ويعود ذلك إلى أذواقهم وسمعهم المختلفة وإلى حروف اللفظة في ذاتها، فاللفظة تكون ملبسة بالفضيلة، وقد تكون مجردة منها وقبيحة، ولا يمكن أن تتسم اللفظة بالفصاحة إلا بعد ملائمة معناها وحسن نظمها والنظر في تراكيبها وسط الكلام، حيث يقول "الإمام الجرجاني" "وهل نجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة"، ألا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناه لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لإخوانها؟ وهل قالوا: "لفظة متمكنة ومقبولة"، وفي خلافه :لا "قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا أن غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصطلح أن تكون لفظة ثابتة في مؤداها"[2].

واللفظة لا تبلغ الفصاحة مفردة مجردة من سابقها ولاحقها، فالفصاحة بمعزل عن الألفاظ الذاتية المفردة، فلو كانت الألفاظ مطية للفصاحة لما وجدنا صعوبة في التفكير واللجوء إلى التخمين من أجل التعبير وكيفية حياكته.

كما فند عبد القاهر الجرجاني بأن تكون اللفظة محسوسة تدرك بالسمع، لأن آذان السامعين وأذواقهم تختلف وتتفاوت من شخص إلى آخر، والمزية لن تكون ملازمة للفظة، بل هي موجودة في بعض مواطنها لأنها تتغير بتغير السياق والمواضيع، ولو كانت اللفظة محسوسة لكان على السامع

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 45.

والقارئ أن يشعر بفصاحتها فور تلقيها، ولما اختلفت الأذواق في السمع الذي يستحيل أن يتفق فيه الأفراد لاختلاف أحاسيسهم التي فرضت على اللفظ أن تتغير حسب تغير توظيفها، وتوفير شروط تفاضلها التي تعود إلى ترتيبها واتساقها وتناسقها في الكلام وتوافقها مع المعنى والتي وظفت من أجله.

وهذا ما أكده عبد القاهر الذي رفض بأن تكون الفصاحة مرتبطة بمجموعة من الخصائص الموجودة في اللفظ، وذلك لعدم العثور على لفظة واحدة اجتمعت فيها كل الخصائص، حيث قال: محال أن تكون صفة اللفظة محسوسة لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في علم بكونه فصحيا، وإذا بطل أن تكون محسوسة، وجب الحكم ضرورة بأنها صفة معقولة[1].

إن عبد القاهر الجرجاني لا ينكر المزية الموجودة في الألفاظ، ولكن يستثني أن تكون هذه المزية موجودة في اللفظة المفردة أو المجردة بذاتها، بل هي مزية تكمن في حسن صياغة الكلام وتأدية الدلالة وشرح الصورة بطريقة تبلغ بها الفؤاد وتطرب الآذان وتوصل المعنى الذي وجدت لتأديته على أكمل وجه ملازمة لشروط توظيفها ومراعاة حسن صياغتها وموقعها في التأليف، حيث قال في ذلك: "ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري/ مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأنف وأعجب وأحق بأن تستولي على هو النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان حامد...، غير أنى تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته وتختار له اللفظ الذي هو أخصابه، والكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية"[2].

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

تحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن نظرية النظم متعاملا معه على أنها أساس التطور، مخصصا لها فصلا كاملا تناول فيه مراتب الكلام، وتوضيح الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلام وبيان معنى النظم، عرف عبد القاهر الجرجاني نظم الحروف قائلا: وذلك أن "نظم

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 44.

[2] المصدر نفسه ، ص 407 .

الحروف" هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمتفق في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه تحراه، فلو أن واضع اللفظة كان قد قال: "ربض" مكان "الضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[1].

وانتقل إلى نظم الكلم فقال: وأما "نظم الكلم" فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس، فهو إذ نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتخيير وما أشبه ذلك"[2].

فالنظم عنده هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات، أي أن النظم يقتضي أن نسير مسار النحو وأن نطبق قوانينه وأصوله وأسسه.

جاء عبد القاهر الجرجاني مناصرا لنظرية النظم على أنها أساس الظاهرة اللغوية التي تعنى بالتقديم والتأخير والزيادة في وجوهر الكلام، وحافز قوي لتسهيل دراسة أسرار البلاغة ،الذي أولاها اهتماما كبيرا في دراسته وخصص لها كتابا كاملا بعنوان والكشف عن دلائل الإعجاز القرآني الذي أكد أنه مرتبط بهذه النظرية، فأبرز أهم مواطن المزية التي وجدت فيها معتمدا في ذلك على الدراسات السابقة التي رسختها جهود الباحثين مثال: "الجاحظ" و"القاضي عبد الجبار".

انطلق عبد القاهر في دراسته من ثنائية اللفظ والمعنى التي أقامت مناقشات حادة حيال تفضيل أحدهما عن الآخر، والتي أثارت ضجة كبيرة وسط الساحة النقدية.

نجح عبد القاهر الجرجاني في إعطاء مفهوم جديد لنظرية النظم مبينا العلاقة الموجودة بينه وبين النحو والتي تعنى بالعلاقة التي تنشأ بين اللفظ والمعنى من جانب سواء لغويا أو نحويا أو دلاليا، وتؤكد على شدة ارتباطهما، فقام بتوضيح مكانة الألفاظ في النظم، ووضح طريقة تصوير المعاني، ثم جمع بينهما في سياق محكم ودقيق لأن الألفاظ المجردة بمعزل عن المزية، بل هي بحاجة لحسن التأليف والترتيب الذي يتطلبه علم النحو هو المزية وحسن التنسيق والانسجام، حيث قال في ذلك: "ودليل

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص 49 .

[2] المصدر نفسه ، ص ص 49 – 50 .

آخر هو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي"[1].

أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا بجهله الآخر".

صرح عبد القاهر الجرجاني في دراسته أن القرآن الكريم معجزة، ولكن رفض أن تكون هذه المعجزة بألفاظه أو الاستعارة أو الفواصل، بل أكد أن مواطن الإعجاز وجدت في تجاويف نظمه وتأليفه وحسن حياكته التي أعجزت البشر وقال: "فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عما إذا عجزوا؟ أعن معان من دقة وحسنها وصحتها في العقول؟

أما عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: "عن الألفاظ"، فماذا أعجزهم من اللفظ أم ما بهرم منه؟

فقلنا: أعجزتم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجارى ألفاظها وموقعها[2]".

فلا يمكن للألفاظ المفردة أن تكون وحدها موطن الإعجاز في كتاب الله الذي يحتاج النظر الدقيق والتفسير، ثم البحث عن دليل اللفظ وظاهره والخوض في خصائص مزاياه، حيث قال: أي أشبه بالفتى في عقله ودينه، وأزيد له في علمه ويقينه، أأن يقلد في ذلك، ويحفظ متن الدليل ظاهر لفظه، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ماهي؟

ومن أين كثرت الكثرة العظيمة... وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة وكلها معدودة معلومة... حتى يعرف كلامته بشاهده ودليله، ويعلمه بتفسيره وتأويله[3].

وقد رفض عبد القاهر الآراء التي كانت تندد بأن الألفاظ تتفاضل عن المعاني وإعطاءه المزية، وهو لفظ مفرد بذاته أو تتفاضل المعاني عن الألفاظ ونسب المزية في جوهرها، بحيث قال: "واعلم أن الداء الدوي والذي أعي أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر، بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ وجعل

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 51.

[2] المصدر نفسه ،ص 40.

[3] المصدر نفسه ، ص 40.

لا يعطيه من المزية، هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى، يقول ما في اللفظ لولا المعنى وهل الكلام إلا بمعناه فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة أو أدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر"[1]، وهذا ما صرح به إحسان عباس بعد اطلاعه على نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني حين قال: أي أن بعض الناقد برؤية الصورة مجتمعة من الطرفين معا دون فصل بينهما، وتلك هي فيما يبدو ونظرية الجاحظ، حتى حين يمثل عبد القاهر بين الشعر والصياغة والتصوير، وقد كان عبد القاهر يحس أن أخذه بتلك النظرية يخدم فكرة الإعجاز، ويقلل من الانحياز إلى اللفظة المفردة، ويمنح المعنى من داخل الصورة المركبة —قيمة كبرى، غير أن مصطلح "المعنى" لديه لم يبقى كما كان عند الجاحظ بل أصبح يعني "الدلالة" الكلية المستمدة من الوحدة، لا المادة الأولية"، أو الحقائق الخارجية التي تحدث الجاحظ عنها"[2]، لأن عبد القاهر الجرجاني جاء رافضا لفكرة الفصل بين هذه الثنائية ونادى بوحدتها، وأكد أنها علاقة تلازمية لا فصل فيها، كما أكد على ضرورة توطيد العلاقة بينهما في هذه لأنهما أساس هذه النظرية.

حيث يقول عبد القاهر أنه لا يمكن تصور الألفاظ بدون معاني، ولا يمكن طلب الفكر دون تصور المعنى"، فإن تصورت الأول فقل ما شئت، وأعلم أن كل ما ذكرناه باطل، وإن لم تتصور إلا الثاني فلا تخدعن نفسك بالأضاليل، ودع النظر إلى ظواهر الأمور، واعلم أن ما ترى أنه لابد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص.

ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث أن الألفاظ إن كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في موقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[3]،لأن الألفاظ لا يمكنها أن تسبق المعاني في النظم والترتب، وليس النظم في نظم الألفاظ أو في ترتيب المعاني، فهذا فكر خاطئ، بل النظم أن تترتب المعاني في موقعها وربطها باللفظ الدال عليها.

فالألفاظ عنده رموز للمعاني ووعاء لها لأن الإنسان يتصور المدلول، ثم يتعرف عليه داخل تراكيب لأن الألفاظ من وحدات اللغة التي نشكل بها التراكيب عن طريق علم النحو.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 170.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 170.

[3] المصدر السابق ، ص 52.

قام عبد القاهر الجرجاني بتفسير النظم وتبيان المراد منه والكشف عن مواطن الفضيلة فيه، وذكر مزاياه بإظهارها والنكت في أمرها وما يجب فيها.

حيث قال: وقد علمت أطباق العلماء على تعظيم شأن "النظم" وتفخيم قدره والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل في عدمه ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ، ويتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال، وما كان بهذا المحل من الشرف، وفي هذه المنزلة من الفضل، وموضوعا هذا الموضع من المزية وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة"[1].

النظم هو توخي معاني النحو:

واعلم أن ليس "النظم" إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف منهاجه التي رسمت لك، فلا تخل شيء منه؟[2]

ووجب على الناظم شرط النظر لنظمه ومراعاة وجهه وأبوابه والعناية بوضع كل وجه في موضعه الذي يفترض أن يقوم فيه دون إهمال، أي وجه به، حيث قال: "وذلك" أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في "الخبر" إلى الوجوه التي تراها/ في قولك: "زيد منطلق" وزيد ينطلق ... و" في شرط والجزاء"... وفي "الحال"... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء، بحيث ينبغي له، وينظر في "الحروف" التي تشترك في معنى... وينظر في "الجمل"[3]... ويتصرف في التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخر في الكلام كله، وفي الحذف، والتكرار ،والأطمار، والإظهار، فيصيب بكب من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له[4].

كل ما كان الأحكام في استعمال معاني النحو ومعرفة سبيل مواضع والشد في أصوله، والعمل بأبوابه وقواعده والالتزام بمواطن الأحكام فيه، كلما كان النظم جيدا ومحكما على صحة، فاختلال النظم يكون نتيجة إهمال معاني النحو والتصريف فيها والفساد في مواطنها، فما يعود الفضل والمزية أيضا للمعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام بحسب المعنى الذي نريد أن نومي ونشير به للكلام، حيث

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز المصدر نفسه، ص 80.

[2] المصدر نفسه، ص 81.

[3] المصدر نفسه، ص 82.

[4] المصدر نفسه ، ص 82.

يقول الجرجاني: "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصورة والنقوش، كما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخيير والتدبير في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يهتد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو التي علمت أنها محصول "النظم"[1].

أي محاسن النظم لا تكمن في استعمال فوارق النحو فقط، بل تكمن في حسن اختيار المعاني وتنسيقها حسب الأغراض التي توظف من أجلها في الكلام.

لم يتحيز عبد القاهر الجرجاني في دراسة لثنائية اللفظ والمعنى لأي منهما، بل قدم فكرة مفادها أن العلاقة بين الألفاظ والمعاني تلازمية تفرضها الطبيعة للوظيفة الدلالية التي تعنى بحسن صياغة الكلام والتوفيق في وضع الألفاظ والمعاني في موضعها الصحيح بإظهار الصورة التي وظفت هذه الثنائية بغية الوصول إلى مبتغى هذه الدلالة، فهو لم يعطي المزية لأي منهما ولم يجمعها الفضل بمفردهما، بل صرح أن المزية تكمن في حسن السياق ومراعاة معاني النحو والنظر للكلمة قبل دخولها في التأليف لضمان بلوغ فصاحة الكلام والبيان، وحدد لنا معاني الألفاظ التي يولدها السياق داخل الصياغة اللغوية التي تراعي توظيف المعاني والألفاظ من خلال ما صرح به حين قال: "ينبغي أن ينظر إلى الحكمة قبيل دخولها إلى التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون الكلم إخبار واستخبارا وتعجبا، وتؤدي الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها ألا يضع كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة، وهل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناه الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به"[2].

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن النظر في الكلمة قبل دخولها التأليف أمر ضروري اشتملت فيه الفصاحة وحسن الكلام، كما أن الجرجاني سلك منحنى عقلي فسر فيه العلاقة الدلالية وانتهج الأصالة النحوية التي ضبطها بقواعد وقوانين نحوية تفرض توخي معاني النحو ودراسة فروقه وأحكامه، وتبين مواطن الإعجاز والفصاحة التي تكمن في حسن النظم لا في الألفاظ أو المعاني.

---

[1] عبد القادر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص 52 ، ص 88.

[2] المصدر نفسه ،ص 52 .

وفي الأخير لا يسعنا أن نقول إلا أن عبد القاهر الجرجاني قدم نقلة نوعية وعمل جبارا لساحة النقدية العربية في دراسته للألفاظ والمعاني، وإعطاءه مفهوما صحيحا لنظرية التي تعد مرحلة الكمال والنضج والانتقال من زاوية مغلقة لزاوية مفتوحة بانتهاجه أصول النحو وشرحه لمواطن المزية والفصاحة وإعطاءه لألفاظ ميزتها وتصوير المعاني على حقيقتها مع شرح قواعد النحو والعلاقة التي تجمع بينه وبين النظم، وسهل علينا دراسة أسرار البلاغة، وسلط الضوء على كيفية كشف مواطن الإعجاز في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الألفاظ والمعاني عند الخطابي

قضية اللفظ والمعنى عند الخطابي:

ولد أبو سليمان: حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي سنة 319هـ، وتوفي سنة 388هـ، وهو من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الذين امتازت كتبهم بغزارة المادة، وعمق الفكر، ودقة الاستنباط وروعة البيان... ومن كتب الخطابي الجليلة: كتاب "غريب الحديث" و "معالم سنن داود" و"أعلام السنن في شرح البخاري" و"إعجاز القرآن"، وهو أصغرها حجما[1].

يعد الخطابي كغيره من الباحثين في قضية الإعجاز القرآني، حيث قدم دراسة وفيرة شرح من خلالها وجوه الإعجاز، مبينا العلل فيها، جاء الخطابي بفكر لغوي في كتابه "إعجاز بين القرآن" الذي يعد كتابا جليا لدراسة قضية النظم القرآني، تأثر بالرماني من جانب مفهومه للتأليف، وتبقى مناقشة القول بالصرفة الذي جاء معارضا له، ويعد "الخطابي" من الأوائل الذين أشاروا لفكرة النظم.

تأثر الخطابي بالدراسات السابقة التي تبنت قضية الإعجاز القرآني أمثال: "الجاحظ" "الرماني" وغيرهم ممن قدموا خدمة كبيرة لهذا الموضوع، إلا أن الخطابي جاء بمفهوم مغاير لمفهوم النظم الذي وجده في حديث السابقين، حيث يقول: "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى قائم به ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة"[2].

يؤكد "الخطابي" أن الإعجاز القرآني قائم على نسيج علاقة بين اللفظ ومعناه حسن حياكتها وربطها بنظم وتأليف، وذلك باختيار اللفظ المناسب وتضمين أحسن المعاني له في قالب من الكلام المنظوم واعلم أن القرآني إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني"[3]، يرجع "الخطابي" سر الإعجاز في القرآن الكريم في نظمه المختلف وحسن التنسيق بين

---

[1] إعجاز القرآن للباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، 119، القاهرة، ج. م. ع، ص ص 12-13.

[2] بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ،الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، ، تح: مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص 27.

اللفظ والمعنى الحامل له، ولقد قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام في قوله: "فالقسم الأول إلى طبقات الكلام وارفعه، والقسم الثاني أوسطه واقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه"[1].

حيث يرى أن هذا التقسيم في الكلام هو ميزة النظم في القرآن الكريم، وهذا ما وصفه (بالفخامة والعذوبة) فيقول في ذلك "فحازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فالنظام لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام بجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد في نعومتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة"[2].

لأنه لا يرى أجزل وأعذب من القرآن الكريم، فهو أشد اتساقا وأحسن تأليفا، وصياغة في نظمه وألفاظه ومعانيه، وهذا ما أعجز العرب أن يأتوا بمثله، تجاوز كل النصوص من حيث نظمه أو نثره وحياكته ومن حيث قواعده واحتوائه على خصائص الفكر اللغوي .

فإحكام نظمه جعله يبلغ القلوب ويؤثر في السامع بحلاوته وروعة معانيه وألفاظه التي بلغت فؤاد قارئها، "ولا ترى نظما أحسن تأليفها وأشد تلاؤمها وتشاكلا من نظمه"[3].

جاء الخطابي في فكره للبلاغة معايير مخالفا لرأي الرماني الذي يرى أن البلاغة إنها ما للمعنى والتي قسمها إلى عشرة أقسام:

إيجاز وتشبيه واستعارة وتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين، والمبالغة، وجنس البيان، والتي شرحها وفسرها تفسيرا مفصلا، وقد ذكر سابقا.

والخطابي جاء في دراسته ذاكرا أن الأقسام الثلاثة التي قسم فيها الكلام، قد ضمها القرآن ومزجها في أسلوبه وقال في ذلك: "... وتلك الأقسام بالترتيب السابق لا نسمع بها من قبل عند من تعرضنا لهم من علماء الدراسات القرآنية، والنقد والبلاغة.

---

[1] بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، ، تح: مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ، ص 26.

[2] المصدر نفسه ، ص 27.

[3] المصدر نفسه، ص 27.

ولكنه يعتبر –على أية حال– في التقسيم على جانب اللفظ أو اللغة وهي أقسام عامة لا يصح إطلاقها على فنون عامة في الأسلوب، فالأسلوب الواحد قد يحوي البليغ الرصين، والفصيح القريب السهل، ولكن ميزة أسلوب القرآن كما يقول هي القدرة على إدماج تلك الألوان اللفظية في نظمه مع بنو كل واحد منهما عن الآخر"[1].

فنظرة البلاغة عنده هي توظيف الألفاظ في الكلام يكون بعد مراعاة الموضع الأخص به ومراعات ملائمة المعنى مع الكلام، أي المزج بين اللفظ والمعنى الذي يقاربه وحياكته في النظم، حيث يقول الخطابي: "هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني "[2].

وبهذا يمهد الخطابي إلى انطلاقته وتبنيه لنظرية النظم، على غرار شرحه لصلة الألفاظ بعضها ببعض ويقوم بتقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام متتالية لفظ حامل، معنى به قائم، ورباط لها النظم.

ويؤكد أن الكلام كلما كان متألفا في جوهره، معناه حاملا للفظه، زين بفصاحة المفردات وحسن تأليفها وارتبط بمضمون من التأليف الجيد كلها، عم كان نظم الكلام معجز وهذا لا يتوفر إلا في القرآن الكريم دون سائر النصوص، وهذا ما سماه علوم البلاغة، " ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون ما يتضمنه من ودائعه التي هي معانيه، وملابسة التي هي نظم الكلام تأليفه"[3].

ومن ثم الإعجاز عنده هو النظم، حيث وضع له تعريفا يتشابه مع التعريف الذي جاء به "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"، وأكد أن طبيعة النظم الجيد تكمن في الجمع بين اللفظ والمعنى بتقديم صورة للفظ والتعبير عنها بواسطة معنى حامل له، فلا أهمية لأحدهما دون الآخر في إطار النظم لأن كل لفظ مقرون بمعناه تخمن فيه، ثم نطق به، فهو يرفض فكرة أن الإعجاز قائما في فصاحة اللفظ دون المعنى أو في المعنى دون اللفظ، أو أن تكون الألفاظ ذات قيمة على المعاني، وأكد ذلك بقوله: وأما ما ذكروه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن، بالإضافة إلى الواضح فيها فليست

[1] الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ، ص 256.

[2] المصدر نفسه ، ص 29.

[3] المصدر نفسه ، ص 36.

الغرابة مما شرطناه في حدود البلاغة، وإنما يكثر وحتى الغريب في الكلام إلا وحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب، الذين يذهبون مذاهب المنهجية، ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخيير له... الذي جمع بين البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة"[1].

أعطى الخطابي جل اهتمامه لنظم الذي هو لب هذا الإعجاز، وأكد أن نظم القرآن لا مثيل له فهو لا يسلك المسار السهل، وأكد أنه يحتاج لثقافة ومهارة في تخيير الألفاظ وتنقية معانيها والصورة الحسنة لها لا تكون إلا في جوهر ذلك اللفظ الذي يتطلب وضوح المعنى ومدى تأثيره في النفس حيث يقول وليد مُحَمَّد مراد في هذا: "وبهذه النظرة الثاقبة يودع الخطابي بين أيدينا مفتاح نظرية النظم التي انتبه إليها عبد الجبار وأكدها عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز)، وبذلك يكون الخطابي سياقا لعبد الجبار في معرفة سر الإعجاز، وبأنه عائد إلى النظم[2].

وصف الخطابي عدة شواهد قرآنية تبرهن صحة ما جاء به وشهد له العديد من العلماء بذلك، ونذكر من بينهم قول الأخضر الجمعي الذي جاء عارض لرأيه محللا له "يظهر ذلك في رده على المعترض القائل: أو ليس وإن توجه الكلام وصح على الوجه الذي ذكرتموه في معنى قوله سبحانه: **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ** ، فقد دخله من الانتشار بتفرق أجزائه وتباعد ما بين فصوله ما أخرجه من حسن النظم وصفتموه به؟[3]

عمل الخطابي جاهدا على توثيق العلاقة بين اللفظ والمعنى، وأكد على ضرورة الجمع بينهما في نظم من الكلام على توحيد بنية النص ومراعاة توظيف كلا من المعنى واللفظ وكيفية تأليفهما من أجل الحصول على سبيل يوضح لنا جوهر الإعجاز القرآني.

إن دراسة الخطابي كانت بمثابة خيط واصل بين المجال اللغوي بصفة شاملة وعلى الإعجاز بصفة خاصة، لأنه يعد نقطة من نقاط تطور نظرية النظم وإثراء قيم عظيمة لتاريخ الأعمال اللغوية التي ساهمت في تطور قضية اللفظ والمعنى.

---

[1] ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي، الدكتور مُحَمَّد زغلول، ط1، مكتبة الشباب، 26 شارع اسماعيل، ص 260.

[2] وليد مُحَمَّد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، ص 28.

[3] الأخضر الجمعي، اللفظ والمعنى في التفكير البلاغي عند العرب (دراسة)، ص 172.

خاتمة

عرف موضوع الألفاظ والمعاني في قضية الإعجاز القرآني خط وفيرا من الدراسات والأبحاث ، وخصصت له كتب كثيرة احتوت وتبنى هذا الموضوع القيم الذي ساعد على نهضة النقد العربي والدفع به نحو الأفق .

وبعد إلقاء نظرة على مجموعة من الدارسات السابقة ، والشروع في بحثنا هذا تحصلنا على حوصلة تمثلت في

- اعتبار المجهودات والإبداعات لجبارة الذي قام بها الجاحظ خدمة لقضية اللفظ والمعنى في الإعجاز القرآني هي بمثابة انطلاقة نحو التغيير حول ما يعرف بالدراسات القرآنية وإعانة لمن جاء بعده مهتما بهذه الدراسات ، فهو من الأوائل الذين كانت لهم لمسة في هذا الموضوع الشيق .
- يعد الجاحظ من أنصار اللفظ ومن المفضلين بينهما ، إلا انه لم يمهل المعنى إهمالا كليا .
- إن توطيد العلاقة بين الألفاظ والمعاني في الإعجاز القرآني وربطهما بعلم البلاغة وعلم النحو ... هو حلقة واسعة خدمت التراث الإسلامي والساحة الأدبية بصفة عامة ولنقد بصفة خاصة .
- تعد المخلفات التي تركها الباحثون في قضية اللفظ والمعنى هي بمثابة قفزة فريدة من نوعها في خدمة النقد العربي سوءا من جانب إحكامه أو قواعده أو أسسه .
- نظرية النظم بالنسبة للجرجاني وأنصاره هي القالب الصحيح الذي يعود له حسن الكلام وجميله .
- كانت دراسات القرآن الكريم العامل القوي لتغير الحياة البشرية والفكرية لدى الإنسان وإخراجها من التخمين الضيق إلي التطور الهائل التي جاء به هذا الكتاب المعجز .
- كل ما دون في دراسات علوم القرآن هو بمثابة خدمة للقران الكريم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصحف الشريف .

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، تهذيب حيوان للجاحظ، دار الجيل، بيروت
2. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك حمد علي، ... الله، بيروت، لبنان، 1971، ط1
3. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون ،دار الجيل بيروت .
4. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، دار المعاني
5. إعجاز القرآن، للباقلاني أبي بكر مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ج-م-ع
6. الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، د ط، مصر، د ت
7. الجاحظ، كتاب الحيوان، الجزء 3، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (1485-1965)
8. الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، تح: مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968
9. الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله أحمد، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3
10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز
11. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إعجاز القرآن، ج16، أمين خولي
12. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الصبح، لبنان، ط1.
13. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان
14. أحمد أبو زيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، دار الأمان، الرباط، 1989، ط1
15. أحمد السيد عمار مُحَمَّد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم
16. الأخضر الجمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب –دراسة اتحاد الكتاب للعرب-، دمشق، 2001
17. الإمام شمس الدين الذهبي، كتاب سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، وطني المعد طيبة، مبنى عبد الله سيت 1417هـ/ 1992، م، ج17.
18. الإنصاف، الباقلاني، تحقيق مُحَمَّد زاهدين الحسن تلكوفي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، 1396هـ/ 1950
19. البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1986
20. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2005.
21. تاريخ النقد الأدبي عن العرب، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت
22. الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، تح: مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر
23. د. إبراهيم تركي، السببية عند القاضي عبد الجبار، ط1، دار الوفاء لدنيا، الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004
24. الدكتور شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة

25. الدكتور علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها –مصادرها–منهجها، مكتبة شباب، شارع اسماعيل سرى، المنيرة، 1982ا
26. الدكتور مُحَمَّد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر، القرن الرابع الهجري، ط1، مكتبة الشباب، بكائي اسماعيل منيرة
27. سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ج3.
28. شوقي ضيف، البلاغة وتطور وتاريخ، دار المعارف
29. الشيخ مُحَمَّد صالح بن أحمد الغرسي، منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق
30. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ط1، المزرعة بناية الإيمان، بيروت، (1985-1405)
31. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني–، ج1، ط2، المزرعة بناية الإيمان، بيروت، (1985-1405)
32. عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1416-1995،
33. في الميزان الجديد، مُحَمَّد منذور، ط3، مكتبة نهضة، مصر
34. بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة الخناجي لأصحابها أولاد مُحَمَّد الأمين الخانجي، شارع عبد العزيز بمصر، 1350-1932م، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1،
35. ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي، الدكتور مُحَمَّد زغلول، ط1، مكتبة الشباب، 26 شارع اسماعيل

المعاجم :

1. ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ مج 604، 31
2. أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د م ن)، 1979، ج4.
3. الجوهري تاج الله، صحاح العرب، دار الحضارة العربية، بيروت، ج ح.
4. قاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب الزاي، فصل الصين، ط2.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة .....

مدخل

الإعجاز القرآني وأثره على النقد العربي

أولا: مفهوم الإعجاز.....

أ) الإعجاز في اللغة:.....

ب) الإعجاز اصطلاحا: .....

الفصل الأول

الألفاظ والمعاني عند المعتزلة

تمهيد:.....

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني عند الجاحظ.....

التعريف بشخصية الجاحظ:.....

موقف الجاحظ من قضية اللفظ والمعنى:.....

النظم عند الجاحظ:.....

المبحث الثاني: الألفاظ والمعاني عند الرماني .....

التعريف بشخصية الرماني:.....

موقف الرماني من الألفاظ والمعاني: .....

الإيجاز:.....

الإيجاز بالحذف:.....

الإيجاز بالقصر: .....

التشبيه: .....

الاستعارة: .....

التلاؤم:.....

الفواصل: .....

التجانس:.....

التصريف: .....

التضمين.....

البيان:.....

النظم عند الرماني: .....

المبحث الثالث: الألفاظ والمعاني عند القاضي عبد الجبار.....

التعريف بشخصية القاضي عبد الجبار:.....

موقف القاضي عبد الجبار من الألفاظ والمعاني: .....

الإبدال: .....

الموقع:.....

الإعراب: .....

موقف القاضي عبد الجبار من المجاز:.....

موقف القاضي عبد الجبار من المجاز:.....

الفصل الثاني

الألفاظ والمعاني عند الأشاعرة

تمهيد:.....

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني عند أبي بكر الباقلاني.....

ثنائية اللفظ والمعنى عندها:.....

نظرية النظم عنه: .....

المبحث الثاني: الألفاظ والمعاني عند عبد القاهر الجرجاني.....

التعريف بعبد القاهر الجرجاني: .....

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني: .....

النظم هو توخي معاني النحو:.....

المبحث الثالث: الألفاظ والمعاني عند الخطابي .....

قضية اللفظ والمعنى عند الخطابي:.....

خاتمة .....

قائمة المصادر والمراجع .....

فهرس الموضوعات .....

ملخص

إن دراسة الإعجاز القرآني هي دراسة قيمة أثرت على العلوم بصفة عامة وعلى الصحة النقدية بصفة خاصة ،تعد هذه الدراسة بمثابة جوهر التطور بحيث أظهرت قيمة اللغة العربية من جانبه واعطت للعلوم البلاغة والبيان والبديع والنحو مكانة مرموقة من جانب آخر وبها استطعنا أن نكشف مدى أهمية الألفاظ والمعاني في المجاز القرآني ،مطلعين على نظرية النظم التي هي بمثابة القالب الذي يجتمع فيه اللفظ والمعنى من حيث العلاقة التي تتطلب تلازمهما ،تبقى الدراسة القرآنية دراسة فريدة من نوعها .

الكلمات المفتاحية : الإعجاز - الأشاعرة – المعتزلة – الألفاظ والمعاني – نظريات النظم .

Abstract :

The study of the Qur’anic miracles is a valuable study that has affected science in general and critical health in particular. In the Qur’anic metaphor, familiar with the theory of systems, which is the template in which the word and meaning meet in terms of the relationship that requires their coexistence, the Qur’anic study remains a unique study of its kind.

Keywords: miracles - Ash'ari - Mu'tazila - words and meanings - system theories.